أولا: تحديد المكونات الأولية للمعنى والتفريق بين ما هو أساسي وما هو غير أساسي وبين ما هو عام وما هو خاص[1] (Grammatical Marker).

ثانيًا: ميز اللغويون بين ثلاثة أنواع من العناصر والمكونات وهي:

١ـ المحدد النحوي أو ما يسمى.

٢ـ المحدد الدلالي (Gr.ammatical Marker) وهو عنصر يشترك بين وحدات معجمية مختلفة[2].

٣ـ المميز (Distinguisher) وهو عنصر خاص بمعنى معين ويقع دائمًا في آخر السلسلة المعجمية ولا يوجد في وحدة معجمية أخرى إلا في حالة الترادف فقط[3].

وقد لاحظ العلماء أنه لا يمكن لأحد معاني الكلمة أن يملك نفس العناصر أو المكونات التي يملكها معنى آخر لها[4].

ثالثًا: عندما نصل إلى حل المشكل الرئيسي في معنى الكلمة وتحديد المراد منها فإننا بذلك نمهد الطريق للتفسير الدلالي الشامل وللسياق المقصود بالتحليل وعندئذ يجب مراعاة كل ما يساعد على إبراز المعنى من أجزاء البنية اللغوية[5] وعناصرها مثل الأسلوب والتركيب الصرفي والوظائف النحوية للكلمات، وبيان المعاني المعجمية أو دلالة المفردات[6]، ويمكن تضمين السياق التفسيري ذلك أو التمهيد بها أو أن يؤدي الهامش هذه المهمة حسبما تملي طبيعة العرض الدلالي.

---

(١) انظر الهامش رقم (٧) ص (١٢٧) من هذا المبحث.

(٢) علم الدلالة (١٣، ١٤، ١١٦).

(٣) علم الدلة (١٣، ١٤، ١١٦).

(٤) قدم بعض العلماء المحدثين ملامح دلالية عامة تميز بين المعاني المتعددة عن طريق تحديد درجة تشابه المعاني واختلافها مثل كائن حي وعاقل وبالغ ومتحيز ... إلى آخره سواء بالسلب أو الإيجاب. علم الدلالة (١٣٦ ـ ١٣٨).

(٥) انظر المولد (٥١٣).

(٦) انظر وسائل تحديد المعنى: علم الدلالة (١٣، ١٤) وانظر مفهوم الدكتور تمام حسان عن تشقيق المعنى أو الطيف اللغوي في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية (١١٦).

٣ـ المكي والمدني:

معرفة المكي والمدني من أهم العلوم المساعدة في تفسير[١] كتاب الله ـ تَعَالَى ـ فهي توقف المفسر على المتقدم والمتأخر من آيات القرآن الكريم، وتطلعه على الحكم والأسرار الإلهية من التدرج في التشريع أو الناسخ والمنسوخ [٢] أو النسء في بعض الأحكام، أما في مجال تحصيل المعنى فتمثل معرفة المكي والمدني أهمية خاصة، حيث تنقل القارئ في التفسير إلى أجواء الحلقة الزمنية والمكانية من مسيرة الدعوة الإسلامية [٣]، وهذه النقلة لو تمت ـ ولو بشكل تقريبي ـ لها الأثر البالغ في نقل إيحاءات الدلالة الخاصة بالآية في تلك الحلقة المعينة وهذا ـ بلا شك ـ له أعظم الآثار في تحصيل المعنى القرآني المراد على وجه أفضل، وبالتالي إزالة الإشكال الدلالي الذي يحدث من جراء لحوق الألفاظ دلالات أو إيحاءات دلالية مغايرة مرتبطة بأجواء الزمان والمكان الذي يعيشه القارئ في عصر ما من العصور غير عصر القرآن الكريم.

وفي إطار التحليل الدلالي لآيات الفتح لا بد لنا من الاطلاع على المرحلة التاريخية والظروف المكانية لما لذلك الأمر من أهمية في قضية تحصيل المعنى كما أشرنا منذ قليل في هذا التقديم، من ذلك ـ مثلا ـ أننا وجدنا أن آيات الفتح التي تحمل دلالة الحكم والقضاء كلها آيات مكية[٤]، بينما الآيات التي تحمل دلالة النصر والغلبة والتمكين كلها آيات

---

(١) بين الدكتور مناع القطان عدة فوائد جامعة للمكي والمدني ذكر منها: الاستعانة بهذا العلم في تفسير القرآن وتذوق أساليب القرآن والوقوف على السيرة النبوية المباركة فقد كان تتابع الوحي مسايرًا لتاريخ الدعوة. انظر مباحث في علوم القرآن (٥٨ ـ ٥٩).

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧).

(٣) انظر منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (٣٧١).

(٤) عاشت الدعوة الإسلامية عهد الحصار والاستضعاف في مكة ولم يسمح للمسلمين بالجهاد في تلك المرحلة بل أمروا بالتزام الصبر والكف عن القتال ومداومة الطاعة ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤/ ٧٧] ومن بين الوسائل التي تساعد المسلمين على التزام الصبر تجاه إيذاء المشركين في هذه المرحلة ـ الدعاء ورد الأمور إلى الله والاحتكام إليه سبحانه وهذا هو الغرض المحتمل=

مدنية ولا شك أن هذه الدلالة تواكب طبيعة المرحلة [1] وتوضح المنهاج التربوي المتبع مع جماعة المسلمين الأولى.

***

=لآيات الفتح التي تحمل دلالة الحكم والقضاء كما سنرى ذلك في الوحدة الخاصة بذلك.

(١) انتقلت الدعوى الإسلامية إلى مرحلة دفع العدوان بالقوة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩] والانتصار بعد الظلم ثم إعلان فريضة الجهاد ـ بعد انتقالها إلى المدينة وواكبت آيات الفتح التي تحمل دلالة التبشير بانتصار رسالة الإسلام على كل القوى المحاربة لمبادئه سواء كانت من المشركين أو من اليهود أو المنافقين ـ واكبت آيات الفتح ـ كما سنرى في الوحدة الدلالية الثانية ـ كل ذلك وعبرت عن هذه الأجواء الجديدة.

مفهوم المكي والمدني:

هناك عدة تعريفات لهذا المصطلح بعضها متفارق وبعضها متقارب[1] ـ ليس هنا مجال عرضها ـ وسنكتفي بتعريف واحد اختاره جمهور كبير من العلماء الأثبات، وأيدته الشواهد على أنه أوفق تعريف لهذا المصطلح يمكن الإفادة منه في علوم التفسير، ذلك التعريف الذي يعتمد الهجرة النبوية المباركة أساسا في تقسيم المكي والمدني[2] فما نزل قبل الهجرة فهو مكي اصطلاحًا وما نزل بعد الهجرة ـ حتى ولو نزل في مكة أو في حجة الوداع ـ فهو مدني اصطلاحا[3] وهو بذلك يعتمد على المرحلة التاريخية التي مرت بها دعوة الإسلام وتغير الظروف الأخرى تبعا لتغير المرحلة التاريخية. قال يحيى بن سلام: «ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني».

يقول السيوطي: وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا[4] وهذا الاصطلاح هو أشهر الاصطلاحات في تعريف المكي والمدني.

وعند تعاملنا مع المكي والمدني سنضع ذلك في الحسبان، ونستقي معرفة المكي والمدني من خلال مصادر مختلفة، ونستعين بمتابعة أحداث السيرة المباركة[5].

---

(١) انظر في تفصيل ذلك البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧ ـ ٢٠٤).

(٢) انظر منهج أهل السنة وموقف ابن القيم من ذلك منهج أهل السنة في تفسير القرآن (٣٦٩).

(٣) قال الزركشي في البرهان: أعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧).

وانظر في شرح ذلك والاعتبارات الخاصة بكل اصطلاح مباحث في علوم القرآن (٦٠).

(٤) الإتقان (١/ ٢٣).

(٥) اخترنا من مؤلفات علوم القرآن. الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي، ومن مؤلفات التفسير. تفسير بن كثير والقرطبي وزاد المسير في علم التفسير لابن الجرزي ومن كتب السيرة سيرة ابن هشام والرحيق المختوم للمباركفوري وسنوضح ذلك في حينه إن شاء الله ـ تَعَالَى ـ

الفصل الأول

دراسة آيات الفتح في المؤلفات التراثية الدلالية

- دراسة آيات الفتح في ضوء مفهوم المشترك اللفظي.
- دراسة آيات الفتح في ضوء مفهوم غريب القرآن.
- دراسة تعريفات الفتح في ضوء المعجم العربي وعلاقة التضاد.

١. الفتح والمشترك اللفظي

نعالج هنا دلالة الفتح في تراث المشترك اللفظي وكتب الغريب، فإذا أردنا أن نتعرف تراث المشترك اللفظي سنجد أننا أمام عدة مصطلحات وتعريفات تبدو مختلفة، ولكن عند تأملها نجد أنها تؤدي مفهوما واحدًا هو المشترك اللفظي أو تعدد المعنى[١] (Polysemy) من هذه المسميات ما يعرف بكتب الوجوه والأشباه والنظائر، ومع ما قيل عن وجود فروق دلالية على مستوى الاصطلاح والمفهوم [٢] إلا أننا نجد مادة العلماء في

---

(١) يقول «بالمر» في تعريف المشترك اللفظي» هو عبارة عن كلمة لها مجموعة من المعاني المختلفة وهذا هو المشترك اللفظي، ومثل هذه الكلمة متعددة المعنى انظر علم الدلالة إطار جدد (١٠١).

وقد فرق «بالمر» بين الاشتراك أو «الهومونيمي» (وذلك عندما نكون أمام كلمات عدة لها الشكل نفسه) والتعدد أو «البوليزيمي» (وذلك عندما تكون كلمة واحدة لها معان عدة انظر في التفرقة بين النوعين علم الدلالة إطار جديد (١٠٤ـ ١٠٩) وانظر كذلك (Gohn Lyons, Semantics 2/235 - 236).

وقد أشار علماؤنا إلى هذا النوع الفرعي من المشترك اللفظي هو ما يعرف (بالهومونيمي) والذي يحدث نتيجة لتطور شكل لفظة ما إلى مطابقة لفظة أخرى يقول ابن درستويه في أثناء بيانه للأسباب التي تدعو إلى نشوء المشترك اللفظي في اللغة: «وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ» انظر فصول في فقه العربية (٣٢٥) وانظر ما قدمه أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب من أمثلة هذا النوع في العربية. المرجع السابق (٣٣٢، ٣٣٣).

وانظر ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس في اللهجات العربية (١٩٧).

(٢) قالوا في تعريف الوجوه «اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان» والنظائر كالألفاظ المتواطئة=

تلك المؤلفات تكاد تكون واحدة[1]، وقد أفرد بعضها فقيل وجوه القرآن ونظائر القرآن، وجمعها بعضهم فقال علم الوجوه والأشباه والنظائر، وهناك كثير من المصطلحات التي تقوم على خدمة المشترك اللفظي ولذلك سنقوم بعرض تاريخي شامل وموجز تعالج فيه تطور دلالة الفتح في تلك المؤلفات مع محاولة تفسير ذلك، والإفادة منه في تقسيم الوحدات الدلالية لآيات الفتح في القرآن الكريم.

= التي تطلق على أشباء متغايرة بالعدد، ولكنها متفقة بالمعنى. البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٢٠). وقالوا معنى النظير أن لفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكور في الموضع الآخر بينها تفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجه (انظر نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر ٢ـ ٣) وقد ضعف الزركشي هذا الرأي لأنهم يذكرون اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة (انظر البرهان ١/ ١٠٢)، ثم إن كلمة الأشباه تحمل معنيين معنى المثل والنظير ومعنى الاختلاط والاختلاف والإشكال فهي متشابهة الصورة مشتبهة المعنى (انظر في مادة شبه اللسان ٤/ ٢١٨٩ ـ ٢١٩١ ومقاييس اللغة ٣/ ٢٤٣) وهذا يوضح أنها عدة مصطلحات أريد بها مفهوما واحدا

(١) وقد توقف الدكتور أحمد مختار عمر عند الازدواج المصطلحي في الوجوه والنظائر وقدم ما بدا له في توضيح هذا الازدواج فبعد أن نقل تعريف العلماء للوجوه بقولهم: الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن الكريم يضيف قائلا: «أما كلمة النظائر فتعني الألفاظ المتواطئة أو المترادفة أو على حد تعبير السيوطي «ما اختلف لفظه واتحد معناه» ولكن من يستعرض الكتب التي تحمل اسم «الوجوه والنظائر» لا يجد فيها حديثًا خاصًا عن المترادفات فلماذا حملت هذا الاسم المزدوج؟ ثم يقول: «يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفًا فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة وجوه: اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن، فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معانٍ فهو مشترك لفظي. وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر أو مترادفات فاللسان مع اللغة يكون ترادفًا وهو مع الدعاء يكون ترادفًا ثانيًا وهكذا» ثم أضاف «فمن أجل هذا صح أن تحمل هذه الكتب اسم الوجوه والنظائر مشيرة بالوجوه إلى المعاني المتعددة للفظ وبالنظائر إلى الألفاظ المتعددة المعنى » علم الدلالة (١٤٩). ولكن الأمر البين في ذلك أن المشترك اللفظي يشمل اللفظ الواحد لا عدة ألفاظ ألا يمكن أن نقول أن اللفظ واحد وقد تتناظر معانيه في حالة الترادف وتتناقض في حالة الأضداد فالمشترك اللفظي مصطلح أعم يتضمن نوعًا من الترادف ونوعًا من التضاد بحسب ما يوجد من معان للفظ الواحد.

فلو قلبنا أن لفظة فتح من معانيها أرسل وأنزل وأطلق فالكلمة هنا تتضمن دلاليا مجموعة من الكلمات المتناظرة أو المترادفة فيما بينها. انظر الملاحظات التي سجلناها عند عرض جهود العلماء بهذا المبحث ص (١٢٣، ١٢٤) وما بعدها.

من أقدم المؤلفات المعروفة لدينا في تراث المشترك اللفظي[١]، كتاب الأشباه والنظائر[٢] لمقاتل بن سليمان البلخي (توفي ١٥٠هـ) ثم كتاب التصاريف أو «تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه» ليحيى بن سلام (توفي ٢٠٠هـ) وتوالت مؤلفات العلماء في هذا المجال [٣] نجد ذلك عند أبي عبدالقاسم بن سلام (توفي ٢٢٤هـ) في كتابه (الأجناس من كلام العرب)[٤] وأبي العميثل [٥] (توفي ٢٤٠هـ) وعنوان كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) وأفرد ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) قسما كبيرا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) للمشترك اللفظي)، وقام أبو الحسن الهنائي ـ المعروف بكراع، (توفي ٣١٠هـ) بوضع معجم شامل في المشترك اللفظي سماه (المنجد في اللغة)[٦] وتراوحت التسميات الأخرى التي حوت المشترك اللفظي بين نظائر القرآن كما عند الحكيم الترمذي[٧] (توفي ٣١٨) أو وجوه القرآن كما هي عند الضرير النيسابوري[٨] أو الوجوه والنظائر كما هي عند الدامغاني[٩] وأيضًا (الوجوه والنظائر) كما عند ابن الجوزي

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢) والإتقان (١/ ١٨٥).

(٢) مطبوع بتحقيق د. عبدالله محمود شحاته. القاهرة (١٩٧٥م).

(٣) انظر مقدمة تحقيق المنجد في اللغة بعناية د. أحمد مختار عمر.

(٤) لم أتمكن من الاطلاع على هذا الكتاب ولكن المراجع التي تحدثت عن المشترك اللفظي تذكر أنه نشر في بومباي (١٩٣٨) بعناية امتياز علي عرشي.

(٥) هو أبو العميثل الأعرابي، عبدالله بن خليد. توفي سنة ٢٤٠هـ وقد حقق كرنكو الكتاب تحت عنوان «المأثور عن أبي العميل الأعرابي» ونشره في لندن (١٩٢٥) انظر نزهة الأعين النواظر تحقيق محمد عبدالكريم كاظم (٣٥).

(٦) المنجد في اللغة، طبع بعناية د. أحمد مختار عمر وضاحي عبدالباقي ـ القاهرة ١٩٧٦م.

(٧) عنوان كتاب الحكيم الترمذي تحصيل نظائر القرآن وهو مطبوع بتحقيق حسني نصر زيدان (القاهرة ١٩٧٠م).

(٨) هو أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري توفي ٤٣٠هـ وعنوان كتابه «وجوه القرآن».
انظر نزهة الأعين النواظر (٥١).

(٩) هو أبو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني توفي ٤٧٨هـ وعنوان كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» وطبع في بيروت ١٩٧٠م بتحقيق عبدالعزيز سيد الأهل تحت عنوان «قاموس القرآن» أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ويجري تحقيق الكتاب حاليًا بعناية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية.

(توفي ٥٩٧هـ) أو شاملة للمصطلحات الثلاث كما هو الحال عند ابن العماد (توفي ٨٨٧هـ) وقد استقر في النهاية عند مصطلح المشترك اللفظي كما نجده عند السيوطي (توفي ٩١٠هـ) في كتابه (معترك الأقران في مشترك القرآن)[١] هذا من ناحية المؤلفات، أما من ناحية المفهوم ـ مفهوم المشترك اللفظي ـ[٢] فقد عرف الأصوليون اللفظ المشترك بأنه «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[٣] وفرق التهانوي[٤] بين نوعين من المشترك: أحدهما: معنوي عندما يكون اللفظ المفرد موضوعا لمفهوم عام مشترك بين الأفراد والآخر لفظي. عندما يكون اللفظ المفرد موضوعًا لمعنيين معًا على سبيل البدل من غير ترجيح، والتهانوي في هذا التعريف الثاني يتفق مع تعريف الأصوليين[٥] لكنه يقصر المشترك اللفظي على معنيين لا أكثر، وتعريف الأصوليين المشار إليه منذ قليل يعبر عن اعتقاد فريق من اللغويين العرب القدامى، ومؤدى هذا الاعتقاد أن المشترك اللفظي عُمِدَ إليه في أصل الوضع اللغوي [٦] لأن الألفاظ ـ كما يقولون ـ متناهية والمعاني غير متناهية، ومع وجود هذه الرؤية إلا أن هناك رؤيةً أخرى ينكر أصحابها أن يكون المشترك اللفظي قد عُمِدَ إليه في أصل الوضع بل الأصل أن يوضع اللفظ الواحد لمعنى واحد[٧] لكن وجود المشترك اللفظي مرده إلى

---

(١) انظر الإتقان (١/ ١٨٥) سمي بذلك في الإتقان ووجد في مخطوطاته التي عثر عليها تحت اسم معترك الأقران في إعجاز القرآن. انظر تحقيقه تحت هذا الاسم لعلي محمد البجاوي. القاهرة سنة ١٩٧٣م مقدمة التحقيق.

(٢) انظر في بداية مفهوم المشترك اللفظي عند سيبويه وغيره وآراء علماء العربية في وجوده من عدمه وتفسيرهم لوجوده وأسباب ذلك وأمثلة المشترك اللفظي وتحليلها. فصول في فقه العربية ٣٠٨ ـ ٣٠٩ وكذلك ٣٢٤ ـ ٣٣٦.

(٣) فصول في فقه العربية (٣٢٤) ولمزيد من التفصيل عن المشترك عند الأصوليين. انظر أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة (١٥٥ ـ ١٥٧) والمزهر (١/ ٣٦٩).

(٤) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٨٥٤).

(٥) يتضح ذلك من قوله (اللفظ المفرد) وقولهم (اللفظ الواحد) وقوله (معا على سبيل البدل من غير ترجيح) وقولهم: (دلالة على السواء).

(٦) وذلك بتصريحهم بكلمة (الوضع) وهم يقصدون عملية المواضعة اللغوية.

(٧) انظر رأي ابن درستويه. فصول في فقه العربية (٣٢٥).

تداخل اللغات وانتقال الدلالات[1].

يقول أبو علي الفارسي في ذلك: «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، ينبغي ألّا يكون قصدا في الوضع، ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل»[2].

ومعنى هذا أن أبا علي الفارسي وأضرابه ممن يرون هذا الرأي يفسرون ظاهرة المشترَكِ اللفظيِّ بحدوث تغير على مستوى الدلالة مع ثبات صورة اللفظ ولم يذهب علماء اللغة المحدثون بعيدًا عن هذا يقول«أولمان»: «لعلنا نتذكر أننا قد عرفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، ولسوف يفيدنا هذا التعريف في دراستنا عندما ننتقل من الصورة الثابتة إلى الصورة المتحركة لمعاني الكلمات، ويقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية، ويظهر التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم»[3].

إذن مفهوم المشترك اللفظي عند القدماء والمحدثين هو وجود لفظ واحد له دلالات مختلفة، وهذا مرده إلى حركية الثروة اللفظية في مجالات دلالية مختلفة من الاستخدام اللغوي ويميز الدكتور أحمد مختار عمر بين أربعة أنواع من المشترك اللفظي عند المحدثين وهي:[4]

١ـ وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية.

٢ـ تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة.

٣ـ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى.

٤ـ وجود كلمتين يدل كل منهما على معنى وقد اتحددت صورة الكلمتين نتيجة تطور في

(١) يفسر «بالمر» المشترك اللفظي في كثير من مفرداته بعملية الانتقال الدلالي.
انظر علم الدلالة إطار جديد (١٠٢).

(٢) المخصص (١٣/ ٢٥٩) وفصول في فقه العربية (٣٢٥).

(٣) دور الكلمة في اللغة (١٦٩).

(٤) علم الدلالة (١٦٢ ـ ١٦٣) وقد حدد صموئيل أولمان مصادر المشترك اللفظي في أربعة مصادر تغذي اشتراك المعنى وهي انحراف المعنى والعبارات المجازية والتأثيل الشعبي (اعتقاد وجود علاقة بين كلمتين لا علاقة بينهما) والتأثيرات الأجنبية انظر مدخل إلى الألسنية (١٩٧).

جانب النطق[١].

ولو تأملنا تعريفات المؤلفات العربية السابقة ـ التي اهتمت بالمشترك اللفظي لوجدنا أنها تصب في هذا الشأن وليس بينها وبين تعريفات علماء اللغة المحدثين كبيرُ خلاف، بل إنني أزعم أن الغربيين قد اطلعوا على هذه التعريفات وأفادوا منها فعبارات القدماء مثل ما اتفق لفظه [٢] وما اشتبه لفظه[٣] أو ما عمت مرائيها[٤] وترادفت مبانيها[٥] أو ما اشتبهت أسماؤه[٦] تدل على أن اللفظ على صورة واحدة وحركة واحدة[٧]، ثم إن عبارات مثل اختلف معناه وتصرفت معانيه أو خصت[٨] أو تنوعت أو خفي المقصود منه بنفس ذلك اللفظ أو أشكل معناه[٩] تدل على تعدد المعنى، وهذا بالضبط ما قدمه

---

(١) هو ما يطلق عليه الهومونيمي وقد أشرنا إليه في الهوامش السابقة منذ قليل.

(٢) انظر عبارة المبرد في رسالته القصيرة ما اتفق لفظه واختلف معناه ص (٢).

(٣) هي عبارة أبي عبيدالقاسم بن سلام.

(٤) هي عبارة كراع النمل (وعمت مرائيها) أي توحدت صورتها اللفظية واجتمعت حيث من معاني كلمة عم عند كراع الجمع انظر اللسان مادة عمم (٤/ ٣١١٢)، والمقاييس (٤/ ١٨).

(٥) هي عبارة الثعالبي.

(٦) هي عبارة يحيى بن سلام.

(٧) هذا هو الشق الأول من تعريف الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر حيث إن مفهومها عند علماء التفسير أن تكون الكلمة واحدة وقد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر.
انظر في ذلك: كشف الظنون (٢/ ٦٢٨) ونزهة الأعين النواظر (١/ ٢ـ ٣).
انظر البرهان في علوم القرآن (/ ١٠٢). والأشباه والنظائر للثعالبي ص (١١).

(٨) وخصت معانيها أي انفردت هذه الصور بمعان خاصة فمن معاني كلمة خص كثر وتشعب والعموم بخلاف ذلك.
انظر المقاييس (٢/ ١٥٢ـ ١٥٣) ويتضح من عبارة كراع (عمت مرائيها وخصت معانيها) نَصُّ كراع على مفهوم محدد وواضح للمشترك اللفظي، ولا بد أنه قد حدث سهو من العالم الفاضل أحمد مختار عمر عندما قرر أنه لم يعثر على تعريف لكراع للمشترك اللفظي ولكنه استنتج من خلال مادة الكتاب أن المشترك اللفظي عند كراع يتحقق عندما تؤدي كلمة أكثر من معنى. وهو استنتاج سليم ولكن نقول بأن كراع قد نص على ذلك بالعبارة المشار إليها.
انظر مقدمة التحقيق ـ تحقيق د. أحمد مختار عمر المنجد في اللغة ـ ص (١٧).

(٩) هذه العبارات على الترتيب للمبرد ويحيى بن سلام وكراع النمل والثعالبي، وتعريف كشف الظنون لحاجي خليفة للفظ المشكل. انظر الهامش رقم (٦).

المحدثون في تعريف المشترك اللفظي.

٢. الفتح من كلمات غريب القرآن

ليس الهدف هنا هو استقصاء كتب المشترك اللفظي أو الغريب، وإنما القصد إلى إبراز نماذج ومحاولة تفسيرها ـ وبخاصة إذا كان بعضها ينقل عن بعض.

وإذا أردنا تحديد مفهوم الغريب، فسنجد أن الغريب من الكلام إنما هو الغامض[١] البعيد من الفهم، كما أن الغريب من الناس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل والغريب من الكلام في عرف العلماء يقع على وجهين ـ كما يقول أبو سليمان الخطابي[٢]:

أحدهما: أن يُراد به أنه بعيدُ المعنى غامضُه لا يتناوله الفَهْمُ إلا من بُعد ومعاناةِ فكر.

والوجه الآخر: أن يُراد به كلام من بَعُدَتْ به الدار من شواذ[٣] قبائل العرب فإذا وقعت إلينا الكلمة من كلامهم استغربناها.

وهذان الوجهان اللذان يحددهما أبو سليمان الخطابي في بيان مفهوم الغريب يتفقان مع المشترك اللفظي في تحقيق غاية هامة من غايات البحث الدلالي ألا وهي توضيح المعنى وتفسير غموضه[٤] سواء أكان هذا الغموض ناتجا عن انتقال الدلالة في إطار السياق اللغوي ذاته أم هو ناتج عن انتقال الدلالة في سياقها اللغوي من بيئة إلى أخرى وقد نص المؤلفون في غريب القرآن على تلك المقاصد يقول أبو الفرج بن الجوزي [٥] ـ في مقدمة

---

(١) قال صاحب اللسان: الغريب: الغامض من الكلام، وكلمة غريبة وقد غربت هو من ذلك اللسان غرب (٥/ ٣٢٢٦) وانظر مقاييس اللغة (٤/ ٤٢١).

(٢) كشف الظنون (٢/ ١٥٥) انظر غريب الحديث للخطابي (١/ ٧٠، ٧١).

(٣) قال علي بن محمد الجرجاني في التعريفات: (الذا ما يكون مخالفًا للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته والشاذ على نوعين: شاذ مقبول، وشاذ مردود، أما الشاذ المقبول هو الذي يجيء على خلاف للقياس ويُقْبلُ عند الفصحاء والبلغاء ...». أظن أن أبا سليمان أراد الشاذ وفق هذا المفهوم عندما قال (شواذ قبائل العرب حيث تُعد اللغة الفصحى (لغة قريش) هي نمط القياس ولغات القبائل التي يحتج بها هي الشاذ وفق هذا المفهوم.
انظر التعريفات للجرجاني (٧١).

(٤) انظر التقديم الذي تناولنا فيه مفاهيم علم الدلالة بهذا الكتاب.

(٥) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي ـ ونسب إلى جده الأكبر جعفر=

تذكرة الأريب في تفسير الغريب[١]:

«هذا كتاب أشرت فيه إلى ما يغمض علمه، ويدق عن ذوي اللب فهمه...».

ويشرح أبو حيان الأندلسي[٢] ذلك في مقدمة كتاب تحفة الأريب يقول: «لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه غريب القرآن، والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم»[٣].

هذا من ناحية مفهوم مصطلح الغريب أما من ناحية المؤلفات في الغريب فإنها تبدأ بمقولات بن عباس[٤] - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - في ذلك الشأن فيما رواه عكرمة عن ابن عباس قال: «إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»[٥] وقد أحصى محقق كتاب العمدة في غريب القرآن مؤلفات غريب القرآن مبتدئًا (بإجابات ابن عباس على سؤالات نافع بن الأزرق) ومنتهيا بـ(كلمات القرآن تفسير وبيان) للشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وقد بلغ عدد المؤلفات قرابة مئة مؤلف

= «الجوزي» حيث تولى جوزة وهي محلة في البصرة أو بغداد وتوارثها أبناؤه فنسبوا إليه - وهو واعظ وحافظ ومؤرخ ولغوي ومفسر ولد (٥١٠هـ) وتوفي (٥٩٧هـ) وصلت مؤلفاته المنشورة أربعين مؤلفًا غير المخطوط والمفقود. انظر في نسبه وصفاته وعلمه ومؤلفاته ومصادر ذلك مقدمة تحقيق كتابه نزهة الأعين النواظر (٢١ - ٣١).

(١) (١/ ٤٩).

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي ولد في مدينة من أعمال غرناطة سنة (٦٥٤هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٦٧٨هـ) وترك وراءه ثروة ضخمة من المؤلفات النافعة. انظر ارتشاف الغرب بتحقيق رجب عثمان (المقدمة).

(٣) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (٤٠).

(٤) انظر مقولة ابن عباس الخاصة بالغريب والأمثلة التي ذكرها في مقدمة تحقيق كتاب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (٢٢).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٩٣).

مـا بـين مطبـوع ومخطـوط ومفقـود[1] وتـضمنت قائمـة الغريـب كتبـا مثـل معـاني القرآن[2] ومجاز القرآن[3] لاحتوائها غريب القرآن بالمفهوم السابق.

وبينما نشعر عند مطالعة كتب المشترك اللفظي أننا أمام مبحث دلالي يعمد إلى دلالة رئيسية أو أكثر ثم يرتب الدلالات الأخرى بناء على ذلك مستشهدا بآيات القرآن الكريم، نجد في كتب غريب القرآن الاتجاه مباشرة إلى الآيات الكريمة وتوضيح أن المادة اللغوية مقصود منها دلالة ما في تلك الآية ودلالة أخرى مغايرة في غيرها ولكن كتبا تقع ضن دائرة الغريب مثل معاني القرآن حاولت شرح الدلالة وتفسيرها كما نجد ذلك عند الزجاج[4] ولأخذ تلك المؤلفات بعضها عن بعض سنقوم بتوزيع دلالات آيات الفتح كما وردت، ولكن عن طريق الإجمال والإشارة إلى الفروق الدلالية إن وُجدتْ ليس قصدًا إلى الاستقصاء، وإنما لإعطاء صورة مناسبة عن تناول تلك المؤلفات لمادة الفتح ثم محاولة تفسير ذلك وتحليله وفق ما قدمنا من مفاهيم. نلحظ من خلال دراستنا لكتب المشترك اللفظي والغريب عدة ملحوظات.

أن هذه المؤلفات ينقل بعضها عن بعض وإن وجدت اختلافات يسيرة فيما بينها.

حرصت مؤلفات المشترك اللفظي على جمع المادة في مكان واحد وساقت الآيات استشهادا على الدلالات والتزم بعضها بترتيب المواد هجائيا[5] وترتيب المادة الواحدة

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب العمدة في غريب القرآن (١٩ ـ ٣٨).

(٢) من معاني كلمة المجاز عند أبي عبيدة الغريب، فقد يعني بعبارته «مجازه كذا» أي غريب كذا فالمجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن الكريم في تعبيراته فعبارة مجازه تعني تفسيره أو معناه أو غريبه وهذا المعنى الخاص للمجاز عند أبي عبيدة أعم ـ بلا شك ـ من المعنى الذي حدده علماء البلاغة بعد ذلك للمجاز. انظر مجاز القرآن مقدمة التحقيق (١٨، ١٩).

(٣) هناك من كتب معاني القرآن ما يغلب عليها النحو والإعراب مثل معاني القرآن للأخفش وهناك كتب أخرى يغلب عليها التفسير وشرح الدلالات مثل معاني القرآن للزجاج وهناك مؤلفات حاولت المقاربة بين كل ذلك مثل معاني القرآن للفراء.

(٤) مثل قوله في شرح دلالة الفتح عندما يكون بمعنى النصر يقول في ذلك: «والفتح بمعنى النصر والظفر بالمكان والمدينة والقرية، كان بحرب أو بغير حرب، أو كان دخول عَنْوة أو صلح، فهو فتح لأن الموضوع إنما يكون منغلقًا فإذا صار في اليد فهو فتح».
معاني القرآن (٥/ ١٩).

(٥) كما يتضح ذلك عند كراع في المنجد.

ترتيبًا دلاليا داخليًا مع تفسير تلك الدلالة[1] كأن يبدأ بالمعنى الأساسي ثم يفرع بقية المعاني تبعا لذلك المعنى، ولم يلتزم بعض آخر منها بذلك بل كان يرتب المادة كيفما اتفق له[2].

اتبعت كتب الغريب نهج المفسرين بأن اتبعت ترتيب القرآن الكريم بذكر السورة ثم ما فيها من الغريب وركزت في مادة الفتح على التفريق بين الآيات التي بمعنى النصر وتلك التي بمعنى الحكم والقضاء.

ويمكن إجمال الدلالات الخاصة بآيات الفتح في تلك المؤلفات على النحو التالي:

١ـ الفتح بعينه أو إزالة الإغلاق[3].

٢ـ الفتح عندما يعني الإرسال والإطلاق والإنزال.

٣ـ الفتح عندما يعني النصر والمظاهرة والفرج[4].

٤ـ الفتح عندما يعني الحكم والقضاء.

وقد سلكت كتب التفسير مسلكا آخر عند تعرضها لتفسير آيات الفتح حيث نقلت في الآية الواحدة هذه المعاني المختلفة المأثورة عن كتب الأشباه والنظائر والغريب المتقدمة عنها من الناحية الزمنية ـ ثم ذكرت ـ أي كتب التفسير بالمأثور[5] ـ روايات نقلية تؤيد

---

(١) مثل «تأويل مشكل القرآن» ومثل «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر والذي رتب فيه ابن الجوزي مادة الفتح ترتيبا داخليًا ثم يُبيِّن الدلالة بالتفسير الذي يراه مناسبًا فهو يحمل المعاني الجزئية على معنى أساسي تفرعت منه تلك الدلالات فالفتح ضد الإغلاق، والفتح النصر لأنه يفتح بابًا مغلقًا، والفتح القضاء لأنه فتح ما أشكل من الأمور.

(٢) نجد ذلك عند مقاتل بن سليمان البلخي الذي بدأ بمعنى القضاء والفتح بمعنى الإرسال والفتح بعينه ثم الفتح بمعنى النصر وتابعه في ذلك يحيى بن سلام في التصاريف وابن العماد في كشف السرائر.

(٣) انظر الجدول الخاص بالمعجم العربي.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٤٤)

(٥) ناقش الدكتور صبري المتولي في كتابه ـ منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية) ناقش الفرق في التسمية بين ما يعرف لدى المشتغلين بالتفسير باتجاه التفسير بالمأثور وما يختاره هو ويسميه الاتجاه النقلي في التفسير وقد قدم عدة مبررات لتفضيل تسمية (النقلي) على (المأثور) ونعتقد أنه لا مشاحة في الاصطلاح وبخاصة إذا كانت كلمة الأثر مصطلح من مصطلحات الحديث ولكنه يعمم ويخصص (انظر تيسير مصطلح الحديث (١٦)=

هذا المعنى أو ذاك، ولكن بكل تأكيد أن تلك الروايات، ليست على درجة واحدة من درجات الصحة والإسناد، وإن كان بعض المفسرين رجح معنى محتملا على آخر في آية من الآيات إلا أن آخرين لم يفعلوا ذلك ونقلوا الآراء المتعارضة في الآية الواحدة، ففي مثل قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (1) يورد الإمام الطبري روايات متعددة على عدة معان مختلفة للفعل فتح(2).

١ـ بما أمركم الله به.

٢ـ بما استفتحتم به ففتح الله عليكم به من إرسال محمد ﷺ.

٣ـ بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

٤ـ بما منَّ اللهُ عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

٥ــ بما حكم الله عليكم به.

وبعد أن يسند الروايات المؤيدة لكل معنى من المعاني السابقة، يحمل دلالة مادة الفتح والمعاني الرئيسية لها ثم يرجح الطبري بأن معنى فتح في الآية هو ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من بعث محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «والطبري في هذا يفسر المادة بذات المادة اللغوية يقول في ذلك:

(فالذي هو أولى عندي بتأويل هذه الآية قول من قال: معنى ذلك: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إلى خلقه، لأن الله ـ جل ثناؤه ـ إنما قصَّ في أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله ﷺ ولأصحابه: آمنا بما جاء به محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فالذي هو أولى بآخرها أن يكون نظيرَ الخبر عما ابتدئ به أولها»(3).

وقد روى المفسرون ـ بعد الطبري ـ قولين أو أكثر في الآية من الأقوال التي جمعها الطبري نجد ذلك عند الماوردي(4) وابن الجوزي(5) والسيوطي (6) وغيرهم ومثل هذا

= ومادة أثر في اللسان (١/ ٢٥، ٢٦) ومن الممكن أن نستخدم الاتجاه النقلي إذا أردنا أن نشمل بتفسير القرآن بالقرآن كما قرر الدكتور المتولي. انظر منهج أهل السنة في التفسير ص (١٢٥) وما بعدها.

(١) سورة البقرة: من الآية ٧٩.

(٢) انظر تفسير الطبري (٣/ ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٥).

(٤) انظر تفسير الماوردي (١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٥) انظر زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٠٤، ١٠٥).

(٦) الدر المنثور (١/ ٨١).

الذي نجده في سورة البقرة نجده في تفسير آيات الفتح الموجودة في سورة الأنفال والسجدة وغيرها.

ويمكن أن نرجع ظنية الدلالة التي سبقت في بعض آيات الفتح وعدم قطعيتها في معظم كتب التفسير إلى سببين أساسيين[1]:

الأول: تعدد معنى اللفظة الواحدة واحتمال السياق لذلك التعدد.

الثاني: تعدد الروايات النقلية المأثورة في تفسير تلك المادة على وجوه مختلفة.

ويبدو أن اختلاف عبارات المؤلفين في المشترك اللفظي والمفسرين - أحيانًا - قد أسهم في إيجاد كثير من المترادفات التي بدت عن طريق النقل والاقتباس وكأنها دلالات مختلفة أو متباينة[2]، ولتوضيح ذلك نمثل بالمثال التالي:

---

(١) ذكر العلماء أسبابًا كثيرة لوجود الخلاف بين المفسرين ذكروا منها اختلاف الإعراب واختلاف اللغويين في معنى الكلمة والاشتراك اللفظي واحتمال العموم والخصوص والحقيقة والمجاز والنسخ والأحكام واختلاف الرواية واحتمال التقديم والتأخير ... إلى آخره. انظر مقدمة في أصول التفسير (٣٤).

وقد اقتصرنا على سببين ترجع إليهما كل تلك الأسباب من خلال المادة التي ندرسها. وقال العلّامة ابن تيمية في سبب الاختلاف عند السلف: (والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل، أو الذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون الغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد مُعَارِض راجح) انظر مقدمة في أصول التفسير (٦٧) وقد تابعه تلميذه ابنُ القيم في ذلك ولكنه أكثر من الأمثلة والتي سماها شيخه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وهي ترجع إلى أربعة أسباب:

١ـ خفاء الدليل ـ والمقصود هنا دليل السنة ـ أي يسمع الصحابي الدليل ثم ينساه مثلا.

٢ـ عدم سماع الدليل: أي لم يسمع الدليل في المسألة على الإطلاق، في حين أن الصحابي الآخر سمع دليلا فيها.

٣ـ الغلط في فهم النص ـ وقد عبر عنه ابن القيم بقوله الاختلاف في فهم النص ـ أي عدم فهم المراد بالنص من الأحكام.

٤ـ اعتقاد معارض راجح أي لم يأخذ صحابي ـ أو تابعي ـ بدليل أخذ به صحابي آخر لاعتقاده أن ما عنده هو الراجح انظر منهج أهل السنة (٧٩).

(٢) قال الإمام ابن تيمية في مقدمته لفهم أصول التفسير: (الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد) مقدمة في أصول التفسير (٤٨).

ثم انظر إلى شرح تلك القاعدة وكيفية حدوثها ومصدر ذلك والأمثلة عليه من آثار الصحابة والتابعين.=

الفتح في الأصل لفظٌ يُعَبَّرُ به عن مدلول الحركة الحسية لإزالة الإغلاق كما تبين لنا من الدراسة التاريخية المقارنة، فإذا ما انتقلت هذه الحركة الحسية إلى صورة مجازية بإزالة الجهل مثل أصبحت دلالة الفتح تساوي دلالة (الإعلام) في هذه الحالة، ويصبح من معاني مادة الفتح: الإعلام ثم تتحرك تلك الدلالة في المجال الدلالي المناسب لها على ألسنة المفسرين فنجد من معاني كلمة الفتح:

الإعلام والإذكار والإخبار والتبيين وعندما ترتبط هذه الدلالات بتشريع من قبل الله - سبحانه وتعالى - أن أزال الجهل عن عباده في أمر من الأمور فيكون ذلك البيان والإعلام والإذكار والإخبار مَنًّا وفيضًا وكرمًا من الله - عَزَّ وَجَلَّ - على عباده وأخذت دلالة الفتح تلك الظلال الخاصة فأصبح من معاني مادة الفتح لدى المفسرين المَنُّ والإكرامُ والتوفيقُ الإلهي لفعل الخيرات، فنلحظ من ذلك أن كثيرًا من الدلالات هي من قبيل المترادفات على ألسنة المفسرين.

.المصادر التي قرئت في ضوء مفهوم المصاحبة:

١ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم.

(لمقاتل بن سليمان البلخي توفي ١٥٠هـ).

٢ـ التصاريف:

(ليحيى بن سلام توفي ٢٠٠هـ).

٣ـ مجاز القرآن:

(لأبي عبيدة معمر بن المثنى توفي ٢١٠هـ).

٤ـ غريب القرآن وتفسيره (لأبي عبدالله بن يحيى بن المبارك اليزيدي توفي ٢٣٧هـ).

٥ـ تأويل مشكل القرآن.

(لابن قتيبة ٢١٣ ـ ٢٧٦هـ).

= المرجع السابق (٤٨ ـ ٦٧).

وقد ميز الدكتور عبدالله محمود شحاته بين سمات التفسير في عهد الصحابة وما بعده بقلة الاختلاف في فهم المعاني على عهد الصحابة وزيادة ذلك في عهد التابعين. انظر علوم التفسير (٣٠)

٦ـ تفسير غريب القرآن.

(لابن قتيبة أيضًا).

٧ـ المُنَجَّد في اللغة (لأبي الحسن الهنائي المعروف ـ كراع النمل ـ توفي ٣١٠هـ.

٨ـ معاني القرآن.

(لأبي إسحاق الزجاج توفي ٣١٣هـ).

٩ـ الأشباه والنظائر.

(لأبي منصور الثعالبي توفي ٤٢٩هـ).

١٠ـ العمدة في غريب القرآن.

(المنسوب لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ).

١١ـ الوجوه والنظائر.

(للحسن بن محمد الدامغاني توفي ٤٧٨هـ).

١٢ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.

(لأبي الفرج بن الجوزي توفي ٥٩٧هـ).

١٣ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب.

(لابن الجوزي أيضًا).

١٤ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.

(لأبي حيان الأندلسي توفي ٧٤٥هـ).

١٥ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

(للفيروزآبادي توفي ٨١٧هـ).

١٦ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر (لابن العماد توفي ٨٨٧هـ).

* * *

- المعاني التي ذكرتها المصادر المشار إليها وكيفية عرضها لدلالة الفتح في آيات القرآن الكريم:

الفتح بمعنى إزالة الإغلاق.

ذكر الزجاج في معاني القرآن[1] وسماها البلخي[2] «الفتح بعينه» وتابعه ابن العماد على هذه التسمية في كشف السرائر[3]، أما ابن قتيبة[4] فقال: «الفتح: أن تفتح المغلق»، وذكر الثعالبي[5]، وابن الجوزي[6] عبارة ابن قتيبة بصورة قريبة فقالا: «الفتح ضد الإغلاق» واستشهدوا على تلك الدلالة بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٣٩/ ٧١] بينما ذكر الزجاج هذه الدلالة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٩][7].

الفتح بمعنى الإرسال:

اتفقت كل ما يعرف بمؤلفات الأشباه والنظائر في الجدول السابق[8] على أن الفتح يأتي بمعنى الإرسال في قوله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٣٥/ ٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٢١/ ٩٦].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣/ ٧٧].

وانفرد أبو عبيدة مُعْمَرُ بنُ المثنى[9] بقوله الفتح: يعني الإنزال واستشهد بقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) معاني القرآن (٥/ ١٩)
(٢) الأشباه والنظائر (٢٠٤، ٢٠٥)
(٣) كشف السرائر (٢٦٢)
(٤) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢)
(٥) الأشباه والنظائر (٢١٦)
(٦) نزهة الأعين (٤٦١)
(٧) انظر الهامش رقم (١) السابق
(٨) انظر جدول المصادر وانظر الهوامش (٢، ٣، ٥، ٦)
(٩) مجاز القرآن (١/ ٢٢٢).

وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٧/ ٩٦].

الفتح بمعنى النصر:

اتفقت كل المصادر السابقة على أن الفتح يأتي بمعنى النصر وعبر عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى بالنصر والمظاهرة[(١)] وعبر عنه ابن قتيبة بالنصر والظفر[(٢)] واتفقت معظم المصادر على أن تلك الدلالة هي المقصودة في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥/ ٥٢] وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ [النساء: ٤/ ١٤١] وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ٦١/ ١٣] وزاد صاحب المجاز آيتين في الاستشهاد وهما قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ [الأنفال: ٨/ ١٩] وقال المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر[(٣)] أما قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٥] فمجازه واستظهره[(٤)] وتابعته في هذه الإضافة كتب الغريب[(٥)].

الفتح بمعنى الحكم والقضاء:

اتفقت المصادر السابقة على ذكر هذه الدلالة وأسمتها كتب الأشباه والنظائر بدلالة «القضاء»[(٦)] ومؤلفات الغريب بمعنى «الحكم» واستشهدت معظم المصادر السابقة

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٥٨، ١٧٨، ٣٤٧، ٤١٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٤٥) والآية من سورة [الأنفال: ٨/ ١٩].

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٣٧] والآية من سورة [إبراهيم: ١٤/ ١٥].

(٥) انظر في ذلك غريب القرآن وتفسيره لليزيدي (٧٥، ١٥٨) وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٥٨، ١٧٨، ٣٤٧، ٤١٢) والعمدة في غريب القرآن لأبي طالب القيسي (٨٠، ١٤٣) والمنجد في اللغة (٢٨٢). وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان (٢٤٤). وتذكرة الأريب لابن الجوزي (١/ ٢، ٥٨، ١٤٢، ٢٧٨)، (٢/ ١٦٣).

(٦) اتفق كتاب العمدة في غريب القرآن المنسوب لأبي طالب القيسي مع كتب الأشباه والنظائر في عبارته عن الفتح «بالقضاء».انظر العمدة في غريب القرآن (١٣٦، ٢٤١) وكذلك تأويل مشكل القرآن (٤٩٢).

بأربع آيات[1] وهي: قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩] وقوله في سورة [سبأ: ٤٥/ ٢٦]: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقوله في سورة [السجدة: ٣٢/ ٢٨، ٢٩]: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

وزاد صاحب مجاز القرآن في الاستشهاد بآيتين[2] وهما قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ٤٨/ ١] وقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء:٢٦/ ١١٨]. وانفرد الثعالبي [3] بإضافة سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

* * *

(١) قد تذكر بعض المصادر، آيتين تمثل بهما ولكن الغالب أنها تذكر هذه الآيات.
(٢) انظر مجاز القرآن (١/ ٢٢٠)، (٢/ ٨٧، ١٣٣، ١٤٩).
(٣) الأشباه والنظائر (٢١٦).

جدول لاختبار ترادف المعنى أو تقاربه باستخدام مفهوم المصاحبة

أ. المصاحبة بحرف الجر (الباء):

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
١ـ (ر س ل)[1] أرسل/ مرسل	رسلنا ـ رسول رسول ـ موسى	بالبشرى ـ بالبينات ـ بالحق ـ بلسان قومه ـ بالهدى ـ بهدية	١٦	تقدم المفعول على الجار والمجرور في معظم الآيات (١١ آية تقريبا) وتقدم عليه الجار والمجرور في بقيةالآيات.
٢ـ (ن ز ل) ـ أنزل ـ نزل ـ منزل	سلطان ـ الكتاب ماء ـ الماء	بالحق ـ بالسحاب بعلم الله ـ بقدر	١٦	تقدم المفعول في ثمانية منها تقريبا فالنسبة شبه متساوية.
٣ـ (فتح) ـ فتحنا	أبواب السماء	بماءٍ منهر	١	تقدم المفعول في ثمانية منها تقريبا فالنسبة شبه متساوية.

ب. المصاحبة بحرف الجر (اللام)

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
١ـ (ر س ل) ـ أرسل ـ مرسل	رسولا ما يمسك الناقة	للناس له لهم	٣	تقدم المفعول على الجار والمجرور مرة واحدة.
٢ـ ن ز ل أنزل ـ نزل	رزقا ماء ثمانية أزواج	لكم	٥	تقدم المفعول على الجار والمجرور مرة واحدة
٣ـ (ف ت ح) فتح ـ يفتح تفتح ـ مفتحة	فتحا رحمة أبواب الجنة أبواب السماء	لك للناس لهم لهم	٤	تقدم الجار والمجرور فيها جميعا على المفعول.

---

(١) انظر مادة (رسل) و(نزل) و(فتح) بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وقد اعتمدت عليه في الإحصاء.

جـ- المصاحبة بحرف الجر (على)

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
١- رس ل - أرسل - يرسل يرسل + (صيغة المبني للمجهول)	حاصبا - حجارة - حسبانا - رجزا - ريحا - سيل العرم - شواظا من نار - الشياطين - صيحة - الطوفان - طيرًا أبابيل. - السماء مدرارا- (كاف الخطاب) (حفظة حفيظا - وكيلا)	- على الكافرين - عليه - عليها - عليكما - عليكم -	٢١	جاءت معظم الآيات في العقاب (١٧ آية) وفي الثواب (آيتان). - تقدم الجار والمجرور في معظم الآيات على المفعول (١٩ مرة) وتقدم المفعول مرتين.
٢- (ن ز ل) أنزل نزّل نزل منزل (صيغة المبني للمجهول)	- آيات - آية - آمنة الذكر السكينة - سلطانا - سورة - الفرقان - القرآن الكتاب - لباسا - ماء - مائدة - الملائكة - ملكا - المن والسلوى. - رجزا - الشياطين	على إبراهيم - على رجل - على رسوله - على عبده - على محمد على بعض الأعجمين / على الذين آمنوا - على طائفتين - على الملكين عليكم - علينا - عليه - عليها - عليهم - على أهل هذه القرية - على الذين ظلموا - على كل أفاك.	٦٤	وردت قرابة الستين آية في الثواب والعطاء وأربع آيات فقط في العقاب. - تقدم الجار والمجرور في كل الآيات على المفعول.

المادة اللغوية	المفعول المتوافق	الجار والمجرور	عدد مرات توافق الوقوع	ملاحظات
٣- (ف ت ح) فتحنا	- أبواب كل شيء بركات من السماء بابا من السماء - بابا ذا عذاب شديد	عليهم - عليكم على الذين كفروا	٥	- جاءت متساوية في الثواب والعقاب. - تقدم الجار والمجرور في كل الآيات.

ويتضح لنا من خلال قراءة مؤلفات المشترك اللفظي وغريب القرآن الكريم في ضوء مفهوم المصاحبة عدة نتائج نجملها فيما يلي:

١ - أن مادة (رسل) عندما تصاحب حرف الجر (على) بمفعول مناسب فالغالب فيها أن تأتي في سياق عقاب وعذاب والقليل أن تأتي في سياق يدل على الخير والثواب بينما مادة (نزل) عكس ذلك تماما مع هذه المصاحبة[(١)].

٢ـ مادة (فتح) عندما تصاحب حرف الجر (على) بمفعول مناسب فالملاحظ فيها تساوي ورود دلالتها في سياق الثواب والعقاب[(٢)] ونستنتج من ذلك دقة تمثيل المصادر ـ المشار إليها ـ بآيات الفتح التي في مناسبة عقاب والقول بأن معناها (الإرسال)[(٣)] ودقة تمثيل أبي عبيدة في مجاز القرآن بالآية الدالة على الخير والثواب بأن معنى الفتح الإنزال[(٤)].

٣ـ ويتضح من اختبار المصاحبة ـ تطبيقا على توافق الوقوع في القرآن الكريم ـ للمواد الثلاث (رسل ـ فتح ـ نزل)[(٥)] أن الترادف التام بين هذه المواد يتحقق بشرطين[(٦)]:

١ـ الاتفاق في مصاحبة حرف الجر.

٢ـ مناسبة المفعول على مستوى الاستخدام اللغوي.

---

(١) انظر جدول المصاحبة رقم (ج).

(٢) انظر جدول المصاحبة رقم (٣) (ج).

(٣) انظر ما نقلناه عن العلماء في كيفية معالجة المشترك اللفظي منذ قليل.

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ٢٢٢).

(٥) انظر جداول المصاحبة الثلاث (أ، ب، ج).

(٦) انظر الملاحظات المدونة بجداول المصاحبة.

. تعريف المعنى الأساسي للفتح في ضوء المعجم العربي وعلاقة التضاد:

عرفت المعجمات العربية مصدر (الفتح) بتعريف أولي يمثل وسيلة منطقية لتحديد المفهوم اللغوي المباشر لهذه المادة وينطلق هذا التعريف من خلال (اعتماد علاقة التضاد) والذي نعده المحدد الدلالي الرئيسي لهذه الوحدة الدلالية يقول ابن فارس ـ في مقاييس اللغة[١]: (الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحًا ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء) ومن قبل ابن فارس كان أول من ذكر علاقة التضاد هو مؤلف العين[٢]، وقد ترددت هذه العلاقة الدلالية، علاقة التضاد، في المعاجم والمؤلفات اللغوية بعد الخليل فيذكرها ابن دريد في الجمهرة[٣]، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن[٤] والأزهري في تهذيب اللغة[٥] وابن سيده في المحكم والمخصص[٦] وابن منظور في اللسان[٧] والفيومي في المصباح المنير[٨] والفيروزآبادي في تاج العروس[٩].

وهذا الذي ذكرته لمعاجم العربية[١٠] وهو توضيح مادة الفتح عن طريق توضيح علاقة التضاد، هو ما ذكرته كتب الأشباه والنظائر تحت اسم (ضد الإغلاق) أو أطلقت عليه بعضها اسم (الفتح بعينه)[١١] وهم يقصدون بذلك مجرد عملية الفتح أو الحركة الحسية لإزالة الإغلاق، وهو ما ذكر عند الشعراء في هذا المفهوم الأولي في العصر الجاهلي حيث كانوا يذكرون المادة ونقيضها لزيادة تأكيد هذا المفهوم أو تمييزه عن غيره من

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٩). وانظر المجمل كذلك (٣/ ٧١٠).

(٢) معجم العين كتاب الحاء (٣/ ١٩٤).

(٣) جمهرة اللغة (١/ ٣٨٦).

(٤) تأويل مشكل القرآن (٤٩٢).

(٥) تهذيب اللغة (٤/ ٤٤٥).

(٦) المحكم (٣/ ٢٠٥)، والمخصص (٥/ ١٣٢)، وانظر القاموس المحيط (١/ ٢٣٩).

(٧) لسان العرب (٥/ ٣٣٣٧).

(٨) المصباح المنير (٢/ ٧٠٧).

(٩) تاج العروس (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

(١٠) انظر الجدول الخاص بالمعاجم العربية في توضيح علاقة التضاد مرتب ترتيبًا تاريخيا.

(١١) انظر الصفحات السابقة.

مفهومات هذه المادة وهذا ما عالجناه في الجزء الخاص بذلك من المبحث التاريخي[١]، وقد جمع أبو حيان الأندلسي بين طرفي هذا التعريف فقال في البحر: (وأصل الفتح خرق الشيء والسد ضده)[٢] وقد صاحبت هذه العلاقة، علاقة التضاد مادة الفتح في النصوص العبرية القديمة، فنجد مادة פָּתַח في العبرية تقترن في نصوص كثيرة بمادة[٣] סָגַר.

ويجب التمييز بين مصطلحين ـ يستخدمان في إطار علم اللغة الحديث ـ ويوقعان في اللبس[٤] **الأول وهو مصطلح (الأضداد)** وهو مصطلح أطلقه علماء العربية القدامى على الكلمة الواحدة ذات المعنيين المتضادين أو المتناقضين ولذلك عدوا الأضداد نوعا من المشترك اللفظي[٥] ووضعت أكثر المؤلفات تحت هذه التسمية[٦] **والثاني: مصطلح**

---

(١) انظر مادة الفتح في الأدب الجاهلي بالمبحث التاريخي، الوحدة الأولى.

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٦٩).

(٣) انظر دراسة مادة فتح وسكر وسجر دراسة مقارنة في الساميات والملحق الخاص بذلك رقم (٣).

(٤) يستخدم العلماء المحدثون هذين المصطلحين بما يوقع في اللبس أحيانا فربما استخدموا التضاد وقصدوا به (مفهوم الأضداد العربي) وربما حدث العكس، فنجد مثلا الدكتور يوسف غازي.
(المدخل إلى الألسنية ٢٠١) ـ يتحدث عن ثلاث نماذج ضمن مفهوم الأضداد.
الأول، العبارات التي تقبل التدرج، وبالتالي جميع علامات المقارنة، وأفعل التفضيل.
الثاني: عبارات التكامل الذي يميز الوحدات المتقابلة فيما بينها ولا يقبل هذا التدريج.
الثالث: علاقة التبادل التي تفترض علاقات عكسية أو فكرة المقايضة الآنية.
(المرجع السابق (٢٠١) وما بعدها بتصرف).
والواضح أنه يتحدث عن مفهوم التضاد الذي يشغل علماء اللغة المحدثين وليس عن مصطلح الأضداد العربي الذي هو جزء من المشترك اللفظي

(٥) قال الأصوليون: «الاشتراك يقع بين الضدين، ولكن مفهوم التسمية يقتضي التوحد أما التضاد فإنه يقتضي التباين، وفي هذا منافاة فلا يقع الاشتراك وقد أجيب عن ذلك بأن التوحد إنما هو من جهة اللفظ، أما التباين فهو من جهة المعنى، إذ المشترك هو لفظ واحد تتكالب عليه معان عدة ذات دلالات مختلفة».
ويقول الدكتور حسن ظاظا، إذا وصل التباين بين معنيين إلى درجة التناقض والتعاكس في لفظ واحد اعتبر هذا اللفظ من الأضداد. انظر في علاقة الأضداد بالمشترك اللفظي التصور اللغوي عند الأصوليين (١٠٢).

(٦) انظر العرض التاريخي الشامل لمؤلفات الأضداد وتتبع نسبتها لأصحابها: فصول في فقه العربية (٢٣٨ ـ ٢٤٥) وانظر تعليقات أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب (رحمه الله) بالهوامش ثم انظر في تفسير تلك الظاهرة وآراء علماء العربية فيها وكذلك آراء المستشرقين. المرجع السابق (٣٣٦ـ ٣٥٧).

(التضاد) وقد أطلقه علماء اللغة المحدثون على لفظين مختلفين نطقا ومتضادين في المعنى[1] وقد أشار إليه علماء العربية واستخدموه كوسيلة من وسائل إيضاح المعنى في المؤلفات اللغوية والمعاجم[2] وفي بيان الرصف البديعي في المؤلفات البلاغية[3]، ولكنهم لم يفردوا له مؤلفات خاصة كما فعلوا مع مصطلح الأضداد[4].

---

(١) وهو المفهوم الذي نستخدمه في هذا السياق من خلال الوحدة الدلالية التي نحن بصددها وانظر الهامش رقم (٤) السابق ص (١٢٧).

(٢) لقد كان الفرق واضحًا لدى علماء العربية القدامى بين مفهومي الأضداد والتضاد ولو أخذنا مثالًا واحدًا على ذلك من كتاب غريب القرآن للسجستاني لوجدناه يستخدم التضاد في التعريف كما استخدمته المعاجم العربية يقول في تعريف (السكينة) أنها تعني السكون الذي هو الوقار لا الذي هو ضد الحركة و(السر) ضد العلانية و(الضر) ضد النفع و(ننشرها) من النشر ضد الطيّ (غريب القرآن ١٠٨، ١٠٩، ١٣٢، ٢٠٥) على الترتيب) بينما يقول في شرح دلالة كلمات مثل (أسر) و(عسعس) و(الغابرين) و(المقوين) و(لزاما) و(وراء) و(هاج) أنها من الأضداد (غريب القرآن ١٩، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٥، ١٧٢، ٢٠٩، ٢٢٧ على الترتيب).

(٣) استخدم التضاد كعنصر من عناصر المقابلة البيانية في علم البديع يقول أبو هلال العسكري (الصناعتين ٣٤٦): «والمقابلة بإيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى أو في اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة» والمقابلة بالمخالفة من عناصرها التضاد (المرجع السابق ٣٤٦، ٣٤٧) واستخدم التضاد كملمح أساس في تعريف ضرب آخر من ضروب البديع يعرف بالمطابقة يقول أبو هلال العسكري (المرجع السابق ٣٢٤): «وقد أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار، والحر والبرد» وانظر في مفهوم تقارب التضاد في المطابقة (المرجع السابق ١١٥) واستخدم التضاد كعنصر من عناصر عكس المعنى فيما يسمى بالعكس أو التبديل في علم البديع (المرجع السابق ٣٨٥، ٣٨٦).

(٤) عقدت كتب الأدب واللغة فصولًا خاصة قصرتها على توضيح علاقة التضاد كما فعل صاحب الألفاظ الكتابية (انظر هامش علم الدلالة ١٩١)، واعتمد الثعالبي اعتمادًا كبيرًا على علاقة التضاد في تقسيم أبواب كتابه.

فقه اللغة وعقد بابا يشمل (٣٨) فصلا تحت عنوان (في سائر الأحوال والأوصاف المتضادة) انظر فقه اللغة للثعالبي. الباب العاشر ٤٠ ـ ٥٦ ط. دار الكتب العلمية بيروت. وانظر تعليقات الدكتور محمد حسن عبدالعزيز في هذا الشأن المصاحبة في التعبير اللغوي (٨١).

والتضاد نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى(١) ويقول عنه «بالمر»: (إنه ـ أي التضاد ملمح ـ مطرد وطبيعي للغاية للغة، ويمكن تحديده بدقة.. وهو يستخدم في الدلالة على عكس المعنى فالكلمات المقابلة(٢) (Opposite) هي من هذا القبيل من العلاقة الدلالية (Antonyns) وإذا كانت علاقة التضاد هي من قبيل العلاقات الدلالية المطردة ومن أوضح العلاقات المعجمية والدلالية، فإن توظيفها في تحقيق أغراض البحث الدلالي(٣)ـ أمر على درجة طيبة من المشروعية اللغوية وبالتالي فإنه يمكننا أن نعتمد علاقة التضاد، على أنها أساسٌ من وسائلِ تحديد المعنى(٤) وتوضيحه(٥) أو ما أطلق عليه «بالمر» إزالة الغموض الدلالي في تعريف علم الدلالة بل إن هذه العلاقة تستخدم كوسيلةٍ من وسائل قياس المعنى(٦) وقد عرف (Nida) نيدا هذا النوع من المعنى بأنه المعنى المتصلُ بالوحدة ـ المعجمية ـ حين تردُ مُنفردة(٧) وقد اعتمد المعجم العربي ـ كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل ـ هذه العلاقة في التعريف ليس ذلك وحسب، بل إن بعض المعاجم قد رتب مادته المعجمية جميعها معتمدًا على هذه العلاقة بشكل مباشر في هذا الترتيب، نجد ذلك عند الراغب الأصفهاني(٨) في المفردات ويمكن توضيحه على النحو التالي:

---

(١) انظر فصول في فقه العربية: (٣٣٦).

(٢) علم الدلالة إطار جديد ترجمة د. صبري إبراهيم (١٢٢).

(٣) انظر المقدمة الخاصة بعلم الدلالة في المبحث الدلالي.

(٤) علم الدلالة (٤٢) وانظر دور الكلمة في اللغة (٢٤٤).

(٥) البحث اللغوي عند العرب (٢٦٩، ١٧٠).

(٦) سيكولوجية اللغة (١٣٥) وما بعدها.

(٧) علم الدلالة (٣٦) وسيكولوجية اللغة (١٢٧).

وقد نص اللغوي الكبير دوسوسير على هذا المضمون فيما عبر عنه بمفهوم القيمة (valeur) الذي يفترض أن الوحدات اللغوية تعرف في علاقتها التعارضية.

انظر في مفهوم القيمة وتعليق رولاند بارت على هذا المفهوم سميائية النص الأدبي (١٠، ١١).

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن (٣٧٠، ٣٧١).

الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال

يدرك بالبصر	يدرك بالبصيرة
↓	↓
الجوانب الحسية	الجوانب المعنوية
(الباب، القفل، المتاع والغلق)	(العلم، والنصر والحكم)

(ثم ذكر المعاني التي لم يجد لها مدخلا في الترتيب)[1].

وعلى هدى الراغب سار الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز[2] وإن كنا نقدر الجهد العظيم الذي بذله العالمان الجليلان ـ رحمهما الله ـ في اعتماد هذه الطريقة العلمية اللغوية إلا أننا لا نأخذ بها وسيلة وحيدة في الشرح الدلالي لمادة الفتح ـ ولكنها محدد دلالي مهم لنوع واحد من أنواع المعنى وهو الذي جعلناه عنوانا لهذه الوحدة المعجمية (الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق).

وإذا كنا قد عرفنا الوحدة الدلالية فيما مضى بأنها أي امتداد من الكلام يعكس تباينا دلاليًا، ويكون التركيز فيه على معنى الصيغة المعجمية[3]، وأوضحنا ـ منذ قليل ـ المحدد الدلالي الذي بمقتضاه وعلى أسسه نجمع الأنماط الدلالية لتلك الوحدة ـ فإن آيات الفتح التي سنضعها في إطار ومظلة هذه الوحدة المعجمية تتضح فيها تلك العلاقة علاقات التضاد وترتبط مادة الفتح فيها بوجود المقابلة (Opposite).

* * *

(١) انظر المرجع السابق نفسه.

(٢) حاول الفيروزآبادي إيجاد أسباب ترجع المعاني الفرعية إلى معنى أصلي مثلما فعل الراغب انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ١٦١ـ ١٦٥) وانظر كذلك ما يعرف بالموسوعة العربية للألفاظ وقد اعتمدت طريقة الراغب الأصفهاني. انظر ذلك (٦/ ٢٧٧).

(٣) انظر مفهوم الوحدة الدلالية بالمبحث التاريخي والمبحث الدلالي.

د. المعاجم وعلاقة التضاد:

م	المعجم	فترة ظهوره	بيان علاقة التضاد في تعريف الوحدة الدلالية الأولى
١	معجم العين للخليل بن أحمد	القرن الثاني الهجري	(الفتح نقيض الإغلاق) وهي أول عبارة في مادة الفتح يذكرها المعجم.
٢	جمهرة اللغة	القرن الثالث الهجري	(والفتح ضد الإغلاق) ثم سرد بقية المعاني وربطها بهذا التعريف عندما قال: وكل شيء انكشف عن شيء فقد انفتح عنه.
٣	تهذيب اللغة للأزهري	القرن الرابع الهجري	الفتح نقيض الإغلاق.
٤	مقاييس اللغة لابن فارس	القرن الرابع الهجري	الفتح يدل على خلاف الإغلاق ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء.
٥	المحكم لابن سيدة	القرن الخامس الهجري	الفتح نقيض الإغلاق
٦	لسان العرب لابن منظور	القرن السابع الهجري	الفتح نقيض الإغلاق ثم يورد المعاني دون أن يرتب المادة اللغوية عليها.
٧	المصباح المنير للفيومي	القرن الثامن الهجري	فتحت الباب فتحا خلاف أغلقته.
٨	تاج العروس للزبيدي	القرن الثاني عشر الهجري	(فتح ضد أغلق) وقد اعتمد الزبيدي هذا المعنى الأولى حقيقة في الفتح ثم قام بتوزيع المعاني الأخرى على أنها انتقلت من الحقيقة إلى المجاز وينبه على ذلك بقوله ومن المجاز كيت وكيت.

الفصل الثاني

الوحدات الدلالية المختلفة لآيات الفتح في القرآن الكريم

- الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق في ضوء مفهوم المصاحبة والمجاز.
- الفتح عندما يكون بمعنى النصر في القرآن الكريم.
- الفتح عندما يكون بمعنى الحكم في القرآن الكريم.

الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم:

(الفتح عندما يكون بمعنى إزالة الإغلاق)

نلحظ على هذه الوحدة عدة مميزات لفظية ودلالية نجملها في النقاط الآتية:

١ـ اتفقت معظم آيات هذه الوَحْدة في تاريخ النزول، حيث نجد خمس عشرة آية مكية، وآية واحدة مدنية.

٢ـ ارتبطت مادة الفتح في الأغلب بحرف الجر «على» وفي الأقل بحرف الجر «على» وفي الأقل بحرف الجر «اللام» وفي النادر بحرف الجر «الباء».

٣ـ في كثير من الآيات تتضح علاقة التضاد بين مادة الفتح ومادة أخرى ترتبط بها في السياق.

٤ـ أهم المصاحبات اللفظية للفتح في هذه الوحدة، هي لفظة (باب) ووردت ألفاظ أخرى مثل الكنز والمتاع وهي من المصاحبات القديمة في اللغة العربية والعبرية.

أولا: المصاحبة لأداء معنى إزالة الإغلاق:

١. فتح + سد (ردم)[1]

. من أشراط الساعة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

---

(١) السد والردم يدلان على الإغلاق. انظر اللسان مادة سدد (٣/ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ومادة ردم (٣/ ١٦٢٧).

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٦، ٩٧].

صرحت آيات القرآن الكريم في سورة أخرى بأن فتح سد يأجوج ومأجوج الذي أقامه ذو القرنين من علامات الساعة، وقد نصت تلك الآيات على وجود السد أو الردم(١). وبين عدد من المفسرين ملامح المجاز والكناية في الآية الكريمة حيث يقع الفتح على يأجوج ومأجوج وهما مما لا يقع عليه الفتح وإنما الفتح يقع على سدهما والآية كناية عن قرب يوم القيامة. يقول الزمخشري(٢): «حذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها» وقال الماوردي(٣): «فتحت يأجوج ومأجوج أي فتح السد وهو من أشراط الساعة».

وقال الرازي في مفاتيح الغيب(٤) والنيسابوري في غرائب القرآن(٥) بمثل ذلك، وجاء في الحديث(٦) ما يفيد أن فتح السد كناية عن كثرة الفساد الذي هو من أشراط الساعة.

٢. مفتاح + كنز(٧).

(١) قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ١٨/ ٩٢، ٩٣].

(٢) انظر الكشاف (٣/ ٢١).

(٣) انظر تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣/ ٤٧٠).

(٤) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٥) غرائب القرآن (١٧/ ٦٥).

(٦) أخرج الإمام البخاري في الصحيح أن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دخل يوما فزعا يقول لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه. قالت زينب رواية الحديث: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث. انظر فتح الباري (١٣/ ١١٧) ويتضح من الحديث الشريف استخدام الدلالة المجازية في فتح سد يأجوج ومأجوج كناية عن انتشار الفساد.

(٧) عبرت اللغة العبرية عن مصاحبة مماثلة، ولكنها اختارت لفظة الأصر.

وقد دلت هذه المادة على معان مشابهة لمعاني مادة كنز في العربية فمن معاني الأصر الثقل والشد والحبس والجمع. انظر مادة أصر في اللسان (١/ ٨٧)، ولذلك كانت ترجمتها إلى كنز عندما تصاحب مادة فتح في الترجمة العربية للتوراة ترجمة موفقة (يفتح لك الرب كنزه).

انظر الترجمة العربية سفر التثنية (٢٨/ ١٢) ص (٣٢٣) والنص العبري الذي وردت فيه:

יפתח יְהוָה לְךָ אֶת אוֹצָרוֹ =

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٢٨/ ٧٦].

نقل بعض المفسرين أن دلالة المفاتح حقيقية وساقوا روايات لم تثبت صحتها[١]، ورأى بعضهم أن دلالة المفتاح في الآية الكريمة دلالة مجازية ولكنهم اختلفوا في طريقة النقل المجازي فقال فريق: أن تحمل المفاتح على نفس المال[٢].

وقال فريق آخر: المراد من المفاتح العلم والإحاطة، والمراد آتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة أولي القوة والهداية[٣].

وأرى وجود الدلالة المجازية في الآية لسببين:

الأولى: ضعف الروايات المنقولة لحملها على الحقيقة سندًا ومتنًا.

الثاني: أن المفاتح لا تعني في هذه الآية الخزائن كما قال بعض المفسرين[٤] وذلك من وجهة نظري لقرينتين في الآية وهما:

١ـ ضمير الإضافة العائد على الكنوز، والكنوز في معنى الخزائن[٥] ولا بد من اختلاف المضاف عن المضاف إليه في المعنى حتى يصلح التركيب الإضافي.

٢ـ عبارة (لتنوء بالعصبة أولي القوة) فالذي يحمل فيثقل حمله هو المفاتح لا الخزائن، فلو أراد الخزائن لما تمت المبالغة المطلوبة إذ يتصور حمل المفاتح ولا يتصور حمل الخزائن.

= انظر كذلك: yeftaḥ ăḏōnāy lḫā eṯ ōrsrōye
سفر التثنية (٢٨/ ١٢) (A.jeffery, Foreign vocablary.,251).

(١) وردت نقول نسبت لمجاهد والضحاك وخيثمة ونسبها بعضهم إلى الإنجيل وهي من وضع القصاص. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣١٣). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩٩).

(٢) نسبه فخر الدين الرازي إلى ابن عباس والحسن ورجحه بقوله «وهذا أبين وعن الشبهة أبعد». انظر مفاتيح الغيب (١٢/ ٣١٧).

(٣) انظر المرجع السابق (١٢/ ٣١٧، ٣١٨).

(٤) روي هذا القول في كثير من كتب التفسير. انظر المرجع السابق (١٢/ ٣١٧) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣١٢).

(٥) مادة (كنز) تدل على الأشياء المجموعة من أي شيء ثم تخصصت دلالتها بالمال المجموع المدفون وهي دلالة تشترك فيها مع الخزائن. انظر مادة كنز في اللسان (٥/ ٣٩٣٧) ومقاييس اللغة (٥/ ١٤١).

ومن خلال ما تقدم نلحظ ملامح المجاز على النحو التالي:

ظاهر الكنز في اللغة يعني المال المجموع المدخر في الأرض وقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها إغلاق، كما قال فخر الدين الرازي(١).

أي أن دلالة الكنز انتقلت إلى معنى الخزائن، واستعيرت المفاتح التي هي من لوازم الخزائن والأبواب للكنوز على أساس علاقة المشابهة للدلالة على آلة تفتح الأبواب المغلقة أو تُزيل الإغلاق.

٣. فتح + متاع(٢).

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ١٢/ ٦٥].

قال فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب(٣): (اعلم أن المتاع ما يصلح لأن يستمتع به، وهو عام في كل شيء، ويجوز أن يراد به الطعام الذي حملوه ويجوز أن يراد به أوعية الطعام).

وجاء في اللسان(٤) لابن منظور وغرائب القرآن(٥) للنيسابوري، أن من معاني مادة (م ت ع) الشد والربط.

ويفهم من قول ابن عطية(٦): «سمي المربوط بجملته متاعا فلذلك حسن الفتح فيه» ـ أن كلمة متاع أطلقت على الأشياء المربوطة تشبيها لها بالأشياء المغلقة لذا أرى أنه نشأت

---

(١) انظر قول الرازي في مفاتيح الغيب (١٢/ ٣١٧).

(٢) يبدو من دراسة مادة (ف ت ح) في العبرية أن مصاحبة الفتح للمتاع من المصاحبات القديمة جدا في اللغتين، وربما ترجع تلك المصاحبة إلى ذلك الطور الذي كانت فيه اللغتان في رحم واحد.
انظر مادة אַמְתַּחְתּוֹ = Amtah tō (بمعنى متاعه في المبحث التاريخي ومصاحبتها للفتح في سفر التكوين (٤١/ ٥٦، ٤٢/ ٢٧، ٤٣/ ٢١، ٤٤/ ١١ وانظر الملحق رقم (٤). ولا تختلف المادة في اللغتين سوى في الحرف الحلقي الذي ينطق مجهورا في العربية (ع) ومهموسا في العبرية (ح).

(٣) مفاتيح الغيب (٩/ ٩٨).

(٤) اللسان (٦/ ٤١٢٧).

(٥) غرائب القرآن (١٣/ ٢٣).

(٦) المحرر الوجيز (٩/ ٣٣٣).

استعارة في كلمة متاع لتدل على الإغلاق حتى تناسب الفتح الذي هو بمعنى الإزالة.

٤. فتح + باب.

لاحظنا من خلال دراسة مادة (ف ت ح) في النقوش[١] أن من المعاني القديمة في المادة دلالتها على فتحة الخيمة أو مدخل البيت פֶּתַח הָאֹהֶל Petaḥhā ohel وعلاقة المصاحبة بين كلمة باب والبيت والخيمة من أقدم المصاحبات اللفظية وقد تصاحبت مادة الفتح مع لفظة باب في الشعر الجاهلي وأدت معاني على سبيل الكناية والمجاز[٢]، وقد استخدم القرآن الكريم هذه المصاحبة ووسع من استخدامه لها في أغراض دلالية متعددة بما يتلاءم مع المفاهيم الإسلامية على النحو التالي:

فتح + باب من السماء وقد ورد في ذلك عدة آيات:

الآية الأولى:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥/ ١٤، ١٥][٣] وتستنتج علاقةُ التضاد في الآية الكريمة من المقابلة بين فعل الشرط (فتحنا عليهم بابا) وجواب الكافرين على هذا الشرط بقولهم: (إنما سكرت أبصارنا)[٤]، وقد تتبعت دلالة مادة (سكر) في العبرية والعربية وبعض اللغات السامية الأخرى ووجدتُ أنها في الأصل تدل على الإغلاق[٥] وأن من مميزات مادة (فتح) عندما تأتي بمعنى إزالة الإغلاق هو مصاحبتها لمادة (سكر)، كما يتضح من النصوص العبرية[٦] والعربية الملحقة بهذا البحث، ويمكن صياغة العلاقة بينهما على النحو الآتي:

---

(١) انظر الفصل الخاص بدراسة النقوش السامية وسفر الخروج (٣٩/ ٣٨).

(٢) انظر الوحدة الدلالية الأولى في الشعر الجاهلي.

(٣) (A.Jeffery, Foreign vocabulary 74).

(٤) قال الزركشي: «عد النحويون» لو «من حروف الشرط وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط، وقد يكون الشرط مساويا للمشروط بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط ومن عدمه عدمه».

(٥) انظر الملحق الخاص بدراسة مادة (سكر) و(فتح) في اللغات السامية ملحق رقم (٣).

(٦) انظر الملحق الخاص بذلك رقم (٣).

ـ سياق الحال وملامح الكناية والمجاز:

تتحدث الآية عن تكذيب المشركين للمعجزات قبل حدوثها وبعد حدوثها فلو قدر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فتح باب من السماء فظلوا فيه يتصاعدون وعاينوا تلك المعجزة بأبدانهم أو بأبصارهم لسولت لهم أنفسهم ردا يكذبون به ما يشاهدون[1]، وعبر عن قدرة الله على ذلك الموقف الخارق (بالفتح) وعبر عن رد الكافرين (بالتسكير والإغلاق) على سبيل الكناية.

الآية الثانية:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ٥٤/ ١١].

لاحظ الشريف الرضى الدلالة المجازية في الآية الكريمة ووضح ذلك بمفهوم إزالة الإغلاق حيث يقول:[2] «وهذه استعارة والمراد ـ والله أعلم ـ بتفتيح أبواب السماء تسهيل سبل الأمطار حتى لا يحبسها حابس ولا يلفتها لافت، ومفهوم ذلك إزالة العوائق عن مجاري الغيوث من السماء حتى تصير بمنزلة حبيس فُتِحَ عنه باب أو معقول أُطْلِقَ عنه عقال».

وذهب ابن عطية إلى ذلك المعنى ونسب الدلالة المجازية إلى جمهور المفسرين والدلالة الحقيقية إلى من سماهم بأهل التأويل[3]: حيث يقول[4] «وقال قوم من أهل

---

(١) قال الزمخشري: ذكر الظلول ـ يعني أنه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ـ ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: (إنما سكرت) ليدل على أنهم يبيتون القول: بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار. انظر غرائب القرآن (١٤/ ١١)، وإعراب القرآن لأبي جعفر (٢/ ٣٧٨).

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢٩٩).

(٣) أغلب المفسرين الذين طالعت لهم في التفسير يفسرونها على الحقيقة وهناك فريق آخر يذكر اللفظ مرة أخرى ولا يتعرض لتفسيره.

(٤) المحرر الوجيز (١٥/ ٢٩٨).

التأويل: الأبواب حقيقية؛ فتحت في السماء، أبواب جرى منها الماء، وقال جمهور المفسرين: بل هو مجاز وتشبيه لأن المطر كثر كأنه من أبواب، وقال النيسابوري[1] في هذه القضية: وأبواب السماء وفتحها حقيقة عند من يُجوِّز لها أبوابا وفيها مياها وعند أهل البحث والتدقيق هو مجاز عن كثرة انصباب الماء من ذلك الصوب، كما يقال في المطر الوابل جرت ميازب السماء وَفُتِحَتْ أفواه القرب، والباء للآلة نحو فتحت بالمفتاح[2] ويجوز أن يراد فتحنا أبواب السماء مقرونة بماء منهمر».

الآية الثالثة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٩].

وصفة الإغلاق في السماء تستنتج من الوصف الذي وصفت به في القرآن الكريم من حسن الاستواء وشدة البناء وإحكام الإغلاق[3] فما ترى فيها من فطور[4] وما لها من فروج[5] فهي كسقف مرفوع وبناء محفوظ[6]، وأما الإزالة الكاملة لهذا الإغلاق والإحكام والتي عبر عنها بالفتح ـ فتكون من مظاهر يوم القيامة.

---

(١) انظر غرائب القرآن (٢٧/ ٥١).

(٢) إذا اعتمدنا قول النيسابوري هذا فإن الانتقال المجازي حدث على مستويين:
الأول: أنه جعل للسماء أبوابا على سبيل الكناية والمجاز.
الثاني: أنه جعل لتلك الأبواب مفاتح هي المياه على سبيل المجاز كذلك.

(٣) انظر تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]:
الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٣١، ٣٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٣٢).
وانظر مادة حبك في اللسان (٢/ ٧٥٨).

(٤) انظر مادة فطر في اللسان (٥/ ٣٤٣٢) وتفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] في الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٠٩) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٩٦).

(٥) ليس لها فتوق ولا شوق ولا صدوع ولا اختلاف.
انظر تفسير قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [سورة ق: ٦] في لجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦) وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٢٢).

(٦) قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وفي سورة الطور: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: من الآية ٢٢]، وانظر في تفسير الآيات الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦١). وفتح الباري (٦/ ٣٣٧).

الملامح الكنائية والمجازية في الآية:

نجد المفسرين إزاء معنى الفتح في هذه الآية فريقين:

الأول:(١) تجنب التفسير المباشر للفظة وفسرها عن طريق الترادف في القرآن الكريم فقال: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ مثل قوله ـ تَعَالَىٰ ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ معناه واحد وهو تفسر القرآن بالقرآن.

الثاني:(٢) فسر الفتح بما يحدث للسماء يوم القيامة في تصيير السماء كالأبواب فهو كناية عن الهول البادي في انقلاب الكون يوم القيامة على سبيل التشبيه والمبالغة والمجاز، وأن أداة التشبيه قد حذفت، ومعنى الكلام: وفتحت السماء فكانت قطعا كالأبواب: وكأنها لكثرة أبوابها المفتوحة صارت بكليتها أبوابا كقوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: من الآية ١٢].

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَىٰ ـ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٧/ ٤٠].

اتفق المفسرون على وجود التعبير الكنائي في هذه الآية، ولكنهم اختلفوا في غرضه الدلالي فقال بعضهم إنها تعبير عن عدم قبول أعمالهم(٣) أو دعائهم أو أرواحهم(٤) وقال

---

(١) من هذا الفريق الفراء [انظر معاني القرآن (٣/ ٢٢٧)]، والزجاج [انظر معاني القرآن (٥/ ٢٧٣)]، وابن كثير [انظر تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٣)]، وابن الجوزي [انظر زاد المسير (٩/ ٢٧)]، والعبارة التي ذكرناها من عبارة الفراء

(٢) أشارت إلى تلك الملامح الكنائية والمجازية عدة تفاسير منها:

ـ تفسير الطبري (٣٠/ ٧). ـ إعراب القرآن لابن جعفر النحاس (٥/ ١٢٨).

ـ غرائب القرآن (٣٠/ ٨٠). ـ المحرر الوجيز (١٦/ ٢١٠).

ـ في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٠٧).

(٣) قال الفراء: «ومعناه لا تصعد أعمالهم». انظر معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٨) وتفسير غريب القرآن (٨٥/ ١٦٧).

(٤) ذكر المفسرون الأغراض الدلالية وأسندوها إلى القائلين بها. انظر في ذلك: تفسير الماوردي =

فريق آخر: إن السماء التي لا تفتح أبوابها للكافرين تعبير عن الجنة وهي استعارة فالمراد لا يصيرون إلى الجنة ولا يتيسر لهم السبيل إليها ولا يستحقون بأعمالهم دخولها[١].

ونقل الزمخشري ذلك من الرضى حيث قال «وقيل إن الجنة في السماء، فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا إلجنة»[٢] والمجاز بناء على تلك الأقوال علاقته حالية حيث أطلق الحال وأراد المحل فحال الجنة العلو والشرف ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ٨٣/ ١٨]. وقال ابن عطية «الآية عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله ـ تَعَالَىٰ ـ عن الكافرين المستكبرين»[٣].

الآية الخامسة:

قال ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [سورة ص: ٣٨/ ٤٩، ٥٠].

قال الفراء: «ترفع الأبواب؛ لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة»[٤].

وفي الآية كناية لطيفة عن دوام فتح أبواب الجنة ويسر نعيمها، يقول الإمام الطبري: «إن الفائدة في إخبار الله ـ تَعَالَىٰ ـ عن الجنة أن أبوابها مفتحة أنها تُفتح لهم بغير فتح سكانها إياها بمعاناة بيد ولا جارحة ولكن الأمر فيما ذكر عن الحسن قال: أبواب تكلم فتكلم انفتحي فتنفتح، انغلقي فتنغلق»[٥] وقال النيسابوري: «والمعنى أن الملائكة الموكلين بالجنات إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون إلى تحصيل

= (٢/ ٢٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٣) والدر المنثور (٣/ ٨٣، ٨٤).

وساق المفسرون حديثا شريفا يتوافق مع دلالة الآية حيث تصعد ملائكة العذاب بروح الفاجر حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها فلا يفتح لهم ثم تلا رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هذه الآية. انظر الحديث وسنده في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٣) وغرائب القرآن (٨/ ١١٣).

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن (٦٩، ٧٠).

(٢) الكشاف (٢/ ٦٢) وانظر زاد المسير (٣/ ١٩٧).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٥٩).

(٤) انظر قول الفراء في زاد المسير (٧/ ١٤٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١١١، ١١٢) وانظر قول الحسن البصري في الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢١٩) وقال القرطبي: «وإنما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لأنها تفتح لهم بالأمر لا بالمس».

مفاتيح ومعاناة الفتح» ثم أضاف: «وقيل أراد به وصف تلك المساكن بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل»(١).

ويفسر لنا هذا التعبير الكنائي في صفة أبواب الجنة سر المفارقة التعبيرية بين فتح أبواب الجنة وفتح أبواب النار في سورة الزمر(٢) قال ـ تَعَالَى ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر: من الآية ٧٣]، حيث أتى بالواو مما يدل على أن فتح أبواب الجنة كان حاصلا قبل مجيء المؤمنين(٣) وقال ـ تَعَالَى ـ في صفة أبواب النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [سورة الزمر: من الآية ٧١]، فقد ترتب الفتح على المجيء(٤) مما يدل على إغلاقها فالأصل فيها الإغلاق والإيصاد ذكر ذلك ابن الأنباري(٥) والزمخشري(٦) وابن عطية(٧) والنيسابوري(٨) وأبو جعفر النحاس(٩).

وبين بعض العلماء وجه الحكمة في اختلاف صفة أبواب الجنة عن أبواب النار في كيفية الفتح منها:

١ـ أن أهل الجنة جاءوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها.

٢ـ أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل فصين أهل الجنة عنه وجعل في حق أهل النار.

---

(١) انظر غرائب القرآن (٢٣/ ١٠٢).

(٢) الزمر: ٣٩/ ٧١، ٧٣

(٣) لم يرد في وصف أبواب الجنة في القرآن الكريم صفات من قبيل الإغلاق والإطباق انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة جنن (١٨٠، ١٨٢) بينما ورد ذلك في صفة أبواب النار قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾[الهمزة:١٠٤/ ٨] وقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ [البلد:٩٠/ ٢٠].

(٤) قرر فريق من النحاة أن «الواو» في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ إنما هي واو الحال، والمعنى جاءوها وقد فتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم وجواب الشرط محذوف. وقد حكى هذا القول أبو إسحاق الزجاج عن فريق من النحاة. انظر خزانة الأدب (١١/ ٤٦) وزاد المسير (٧/ ٢٠٢) وتفسير الجلالين (٤٩٩).

(٥) انظر قول ابن الأنباري ملخصا في خزانة الأدب (١١/ ٤٦).

(٦) انظر الكشاف (٣/ ٣٥٨).

(٧) المحرر الوجيز (١٤/ ١٠٦).

(٨) غرائب القرآن (٢٤/ ٢٠).

(٩) إعراب القرآن (٤/ ٢٢).

٣ـ أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم ومن كمال الكرم غلق باب النار إلى حين مجيء أهلها لأن الكريم يعجّل المثوبة ويؤخر العقوبة(١).

ثانيا : الفتح عندما يرد على سبيل الكناية والمجاز:

الآية الأولى: قال ـ تعالى ـ في سورة الأنعام(٢):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ(٣) فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ(٤) حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٦/ ٤٢ـ ٤٤].

الفتح في الآية الكريمة كناية عن الاستدراج(٥)، وسياق الآية يوضح ذلك وجاءت

---

(١) ذكر بعضا من تلك الوجوه ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢، ٢٠٣) والمحرر الوجيز (١٠٦/١٤).

(٢) الأنعام: ٦/ ٤٢ ـ ٤٤.

(٣) «لما» ظرفية بمعنى حين، وهي رابطة لوجود شيء بوجود غيره (قطر الندى وبل الصدى ٤٢) ويقول الطبري: ومعنى نسوا: تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا وما ذكروا به هو زواجر الله ونواهيه والعبر والابتلاءات التي أجراها الله على خلقه المكذبين من البأساء والضراء. تفسير الطبري (١١/ ٣٥٤، ٣٥٧).

(٤) قال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله (كل شيء) التأكيد كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل شيء، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النمل: من الآية ٢٣]. انظر زاد المسير (٣/ ٣٩).

(٥) الاستدراج من سنن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في عقاب المكذبين بأن يمهلهم فيغتروا بإمهال الله لهم فيأخذهم بغتة، وقد جاء الاستدراج في القرآن الكريم بالكناية والتصريح فالكناية مثل هذه الآية التي نحن بصددها والتصريح كما في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٨٢، ١٨٣] (وكذلك في سورة [القلم: ٤٤/ ٤٥]) ومعنى سنستدرجهم: نأتيهم من مأمنهم، قال أبو عبيدة: الاستدراج أن يأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث يتلطف به). وأصل الاستدراج التقريب منزلة منزلة.
انظر فتح الباري (٨/ ١٥١). وفتح الاستدراج هذا هو ما كان يخشى منه النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ على أمته أشد الخشية، فقد روي عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الحياة الدنيا!. قالوا: وما زهرة الحياة الدنيا يا رسول الله؟: قال بركات الأرض. انظر في تخريج الحديث وإسناده:=

أقوال المفسرين بهذا المعنى حيث قال الفراء[1] ـ في معنى الأبواب التي فتحت استدراجا ـ:

«يعني أبواب الرزق والمطر وهو الخير في الدنيا» وبمثل ذلك قال الزمخشري[2] وابن كثير وعقب بقوله: «وهذا استدراج منه ـ تَعَالَى ـ وإملاء وعياذا بالله من مكره»[3] وقريب منه قول الزركشي[4] والسيوطي[5] وغيرهم من المفسرين. وقد أشار بعض المفسرين إلى علاقة التضاد كوسيلة من وسائل الإيضاح الدلالي نجد ذلك عند الزجاج[6] والنيسابوري[7].

حيث قالا: المعنى: (فتحنا عليهم أبوابَ كُلِّ شَيْءٍ كان مغلقا عنهم من الخير)[8].

أما ابن عطية الأندلسي فقد أضاف إلى جانب إبراز علاقة التضاد وسيلة أخرى وهي سياق الآية السابق واللاحق[9] فالسياق السابق يكشف أن المعنى خاص واللاحق يبين معنى الاستدراج يقول «فتحنا عليهم أبواب كل شيء معناه: مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنياوية، فهو عموم معناه خصوص»[10].

ويمكن أن نحدد الإطار الدلالي للكناية في النقاط التالية:

١ـ اتفق المفسرون على أن المقصود من فتح أبواب الخيرات هو الاستدراج.

= الصحيح المسند في التفسير النبوي (٦٧) والبرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٢).

(١) معاني القرآن (١/ ٣٣٥).

(٢) الكشاف (٢/ ١٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٧٢).

(٥) تفسير الجلالين (١٤٠).

(٦) انظر قول الزجاج في زاد المسير (٣/ ٣٩).

(٧) غرائب القرآن (٧/ ١٠٨).

(٨) انظر الهامش السابق وعبارة الزجاج والنيسابوري واحدة.

(٩) ذكر الآيات السابقة لآية الفتح أما الآية اللاحقة فهي قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٥]. انظر في تفسير هذه الآية وربطها بالآيات المتقدمة عليها. المحرر الوجيز (٦/ ٥٢).

(١٠) المحرر الوجيز (٦/ ٥١).

٢ـ انفرد الزجاج وابن عطية والنيسابوري في توضيح الدلالة المباشرة بإبراز علاقة التضاد (أغلق ـ سد) وانفرد ابن عطية عنهما بإيضاح سياق الحال.

الآية الثانية:

ـ الفتح عندما يكون كناية عن مواقعة العذاب:

قال ـ تَعَالَى ـ في سورة المؤمنون[١]:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ[٢] ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا[٣] فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، وفي تحديد نوع العذاب الذي فتح عليهم تعددت أقوال العلماء فقال بعضهم: هو باب من أبواب جهنم إذا بلغوه فتحه الله عليهم وهذا في الآخرة[٤] وقال آخرون: هو قتلهم بالسيف يوم بدر[٥] وقال فريق هو القحط[٦] الذي أصاب أهل مكة عندما حال ثمامة بن أثال بين مكة والميرة نصرة لرسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[٧] وقيل فتح مكة[٨].

---

(١) المؤمنون: (٢٣/ ٧٥ ـ ٧٧) (مكية).

(٢) الاستكانة والتضرع عند مس الضر دليل على الرجوع إلى الله والشعور بالحاجة إليه والقلب متى اتصل بالله على هذا النحو رق وتذكر وأفاد من المحنة وانتفع بالبلاء فأما حين يسدر في غيه ويعمه في ضلاله فهو متروك لعذاب الله الذي يفاجئه فيبلس ويحتار وييأس من الخلاص انظر في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٧٦) (بتصرف).

(٣) «حتى» للغاية والتدريج وإذا تبعتها (إذا) تكون بمعنى (لما) انظر في ذلك نزهة الأعين النواظر (٢٤٤، ٢٤٦) والتبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٠١، ٣٣١).

(٤) إعراب القرآن لأبي جعفر (٣/ ١٢٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٥١، ٢٥٢) والكشاف (٣/ ٥٣، ٥٤).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٩).

(٦) انظر زاد المسير (٥/ ٤٨٥) وغرائب القرآن (١٨/ ٣٢).

(٧) لما أسر ثمامة بن أثال في سرية من سرايا المسلمين وعفا عنه النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أسلم وناصر المسلمين، وحال بين مكة والميرة وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأخذ الله قريشًا بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٤٣). وانظر مفاتيح الغيب (١١/ ٣٩٦).

(٨) انظر زاد المسير (٥/ ٤٨٦) وقال ابن عطية إنه توعد بعذاب غير معين ... المحرر الوجيز (١١/ ٢٤٦).

والذي نخلص إليه من ذلك أن الفتح في الآية الكريمة كناية عن مواقعة العذاب أيا كان نوعه والذي يتوافق مع مكيّة الآية قول من قال هو باب من عذاب الآخرة يُفتح على الكافرين ولكن هذا لا يمنع الأقوال الأخرى التي هي من قبيل تأويل القرآن الكريم بحوادث السيرة وتتفاوت درجة العذاب بتفاوت الحوادث ويبقى تناهي شدة العذاب في الآخرة(١).

الآية الثالثة:

المفاتح: كناية عن الحيازة.

قال ـ تَعَالَى ـ في سورة النور(٢) : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قال الزمخشري في معنى المفاتح في الآية: (أموال الرجل إذا كان عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته، وملك المفاتح كونها في يده وحفظه»(٣). وسياق الحال في الآية ينبئ عن أدب من الآداب الإسلامية التي تسود المجتمع المدني في ظروف معينة فالمفاتح أو المفتاح(٤) كناية عن الإذن للمؤمن المؤتمن أن

---

(١) قال ابن عطية كأن الأخذ كان في صدر الأمر ثم فتح الباب عند تناهيه حيث أبلسوا. المرجع السابق

(٢) النور: ٢٤/ ٦١ .

(٣) الكشاف (٣/ ٨٥) ومفاتيح الغيب (١١/ ٦٤١) ومجاز القرآن (٢/ ٦٩) وقد وضح ابن كثير ذلك المعنى ببيان سبب النزول في الحديث الذي رواه الإمام الزهري عن عروة عن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قالت: (كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فيدفعون مفاتحهم إلى ضمنائهم ويقولون: «قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه فكانوا يقولون أنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أذنوا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾.انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٥) وانظر المحرر الوجيز (١١/ ٣٢٧).

(٤) القراءة المشهورة بصيغة الجمع وهناك قراءة بصيغة المفرد. انظر الكشاف (٣/ ٨٥).

يَطْعَمَ مما ملك مفتاحه أي حيازته بالضمان أو بالوكالة في حدود الحاجة والمعروف[1].

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَىٰ ـ في سورة الأنعام:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [2].

المفاتح، صيغة اسمية مفردها مِفْتَح أو مِفْتاح، وهي تدل بلفظها على آلة تزيل الإغلاق قال القرطبي في التفسير[3]: «والمِفْتَحُ عبارة عن كل ما يحل غلقًا محسوسًا كان كالقُفل على البيت أو معقولًا كالنظر» وذهب بعضُ المفسرين إلى أن مفاتح في الآية جمع مَفْتَح وهو المكان، وبناء على ذلك فسروا (مفاتح الغيب) بـ(خزائن الغيب)[4] وعقب القرطبي على هذا الرأي بقوله: (وهذا مجاز عبر عنها بما يُتَوَصَّلُ إليها به)[5].

وقال ابن حجر «المفاتح جمع مِفْتَح بكسر الميم الآلة التي يُفْتَحُ بها، وهي لغة قليلة في الآلة، والمشهور مفتاح بإثبات الألف، وجمعه مفاتيح بإثبات الياء»[6] وأوضح الزمخشري

---

(١) وقد وضحت السنة المطهرة الإطلاق الموجود في الآية بالحديث الذي رواه الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: (لا يَحْتَلِبَنَّ أحدُكُمْ ماشيةَ أخيهِ إلا بإذنهِ أيُحِبُّ أحدُكم أَنْ يُؤتى إلى مشربته فَتُفْتَحُ خَزانَتُهُ فيؤخذُ طعامُهُ) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٣/ ١٤٩) والحديث في الموطأ باب الاستئذان الحديث رقم (١٧) (ص ٧٤٠).

(٢) الأنعام: ٦/ ٥٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢).

(٤) هو تفسير السدي والحسن ومقاتل والضحاك. انظر المرجع السابق والمراجع التالية بالهوامش.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢) وانظر الوجه الأول في معنى المفاتح الذي ذكره الماوردي في التفسير (٢/ ١٢١).

(٦) فتح الباري (٨/ ١٤١) وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٢/ ٧١) وقد بين الشريف الرضى الدلالة المجازية في هذه العبارة بقوله:

(وهذه استعارة، فالمراد وعنده الوصلة إلى علم الغيب فإذا شاء فتحه لأنبيائه وملائكته، وإن شاء أغلق عليهم علمه ومنعهم فهمه وعبر عن ذلك بالمفاتح وهي أحسن عبارة وأوقع استعارة لأن كل ما يتوصل به إلى فتح المبهم، وبيان المستعجم، يسمى بذلك ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه أمر أو اختل له حفظه افتح علي أي بين لي وفهمني ما عزب عني. تلخيص البيان في مجازات القرآن (٦١، ٦٢).

الدلالة المجازية في هذه الصيغة بقوله: (جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال، ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها، فأراد: أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن»[1]. وجوز الواحد أن المفاتح جمع مَفتح بفتح الميم على أنه مصدر بمعنى الفتح أي وعنده فتوح الغيب يفتح على من يشاء من عباده.

وعقب ابن حجر على هذا المعنى بقوله: (ولا يخفي بعد هذا التأويل للحديث المذكور في الباب[2] وأن مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله»[3].

ويتضح من أقوال العلماء أن دلالة المفاتح في الآية دلالة مجازية ويوضح النيسابوري الارتباط بين الدلالة الحسية والدلالة العقلية في سياق الآية حيث عد الدلالة العقلية دلالة كلية شاملة يقول: «قضية مجردة والإنسان الذي يقوى على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدًا، والقرآن إنما أُنزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الأمور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالًا لها، ويعين الحسُ العقلَ فقال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ لأن ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول)[4].

الآية الخامسة:

قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن

---

(١) الكشاف (٢/ ١٨، ٩٩) وقال ابن عطية بالاستعارة كذلك (المحرر الوجيز (٦/ ٤٦) ومثله قال النيسابوري غرائب القرآن (٧/ ١٢١).

(٢) روي عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ أنه قال: (مفاتح الغيب خمس وهي التي في قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣١/ ٣٤]. يروي هذا القول عن ابن عباس وعن ابن مسعود بلفظ أعطى نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب ثم ذكر الآية المشار إليها انظر تفسير الطبري (١١/ ٤٠٢) وقد أسنده الإمام البخاري في الصحيح. انظر فتح الباري (٨/ ١٤١). وكذلك تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٣٧).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٤١) وانظر الوجه الثاني من تفسير الماوردي (٢/ ١٢١).

(٤) غرائب القرآن (٧/ ١٢١).

كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1].

وضَّح الزمخشري معنى إزالة الإغلاق، وبين مجازيته حيث قال[2] : (فإن قلتَ ما معنى فتح البركات عليهم؟ قلتُ: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المغلقة أو المستغلقة بفتحها).

وأشار بعض العلماء إلى ملامح الكناية والمجاز كقول الشريف الرضى[3]: (فالمراد ما يكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض، وهو سبيل سعة العيش والرفاهية) ويتضح من أقوال العلماء أنها كناية مُوَلَّدةٌ عن مجاز في فتح السماء بالماء، وصدع الأرض بالنبات[4].

وصرح الحديث الشريف بهذه الكناية، حيث رُوي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله: «الخبز أنزل من بركات السماء، وأخرج من بركات الأرض[5]».

الآية السادسة:

ـ مطلق الفتح:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٣٥/ ٢].

ويتضح انتظام معنى الفتح في هذه الآية في الدلالة على إزالة الإغلاق[6] من خلال علاقة التضاد والتي مكن تمثيلها على النحو التالي:

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ٩٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٧١.

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٥٨، وانظر ما نقله ابن الجوزي عن الزجاج في زاد المسير ٣/ ٢٣٤، وانظر المحرر الوجيز ٧/ ١١٩.

(٤) قال الشريف الرضى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [سورة الطارق: الآيتان]، وهذه استعارة المراد بها صفة السماء، ترجع بدرور الأمطار وتعاقب الأنواء مرة بعد مرة... والمراد بـ﴿ٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ انصداها عن النبات وتشققها عن الأعشاب. تلخيص البيان ص٣٥٤.

(٥) انظر الحديث في الدر المنثور ٣/ ١٠٤.

(٦) إزالة الإغلاق على المستوى المجازي.

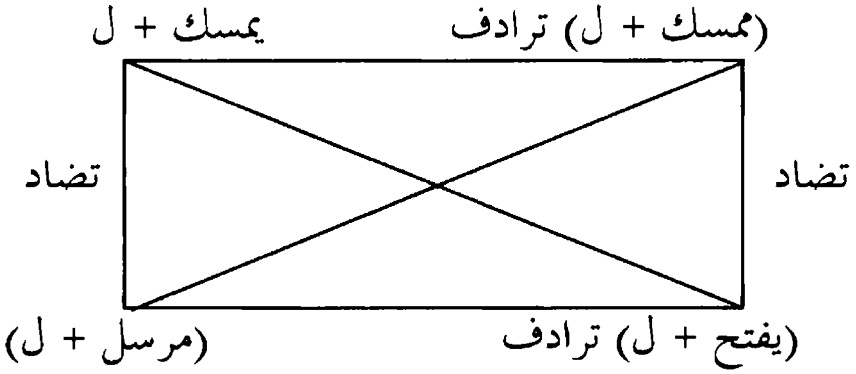

فالفتح هنا (فتح + ل) يرادف الإرسال[1] (أرسل + ل) وكلاهما في حالة تضاد مع الإمساك[2] وقد وقع كل ذلك في سياق واحد الملامح الكنائية والمجازية في هذه الآية:

تتضح علاقة المجاز في الآية من خلال وقوع الفتح على الرحمة[3] وهي دلالة مجازية أما خلو الفعل الثاني (يمسك) عن المفعول فيفسره لنا الشيخ عبدالقادر الجرجاني بأنه دلالة على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير التعرض لحديث المفعول.

ويقول الزمخشري ـ موضحا الانتقال الدلالي بين معاني الألفاظ في الآية استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مكان (فلا فَاتِحَ لَهُ)[4].

* * *

(١) انظر في علاقة الفتح والإرسال وشروط الترادف بينهما بالمبحث الخاص بالمشترك اللفظي من هذا المبحث. ص (١١٩، ١٢٤، ١٢٥).

(٢) وردت علاقة التضاد بين (أرسل) و(أمسك) في هذا الموضع وفي غيره في مثل قوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٣٩/ ٤٢].

(٣) الفعل (يمسك) في الآية المشار إليها ليس له مفعول يمكن النص عليه لفظا أو تقديرا مع كونه فعلا متعديا.

(٤) الكشاف (٣/ ٢٦٧).

الوحدة الدلالية الثانية:

الفتح عندما يكون بمعنى البشارة والنصر[1]:

استخدم القرآن الكريم مادة الفتح في الدلالة على النصر والتمكين وظهور الدين استخدامًا مجردًا من الإضافة إلى محسوس وجعل منها صيغة مطلقة في أداء هذه الدلالة[2].

ويمكن أن نرصد من خلال تلك الوحدة غرضين أساسيين جاءت بهما الآيات وهما:

الأول: يخص التبشير بالبعثة المحمدية والتبشير بانتصار الدين والرسالة.

الثاني: يتعلق ببعض الإنجازات الكبرى التي حققها المسلمون في العهد المدني حيث أطلق القرآن الكريم تسمية الفتح على أحداث بعينها وهي غزوة بدر، وصلح الحديبية، وغزوة خيبر، وفتح مكة ولا شك أن هذه الفتوحات هي أعظم الفتوحات في تاريخ حركة الإسلام الأولى في الجزيرة العربية.

وقد تعمقت دلالة الفتح بهذا المعنى المشار إليه في وجدان الأمة الإسلامية على مر العصور وشاعت هذه الدلالة في أوساط المسلمين وبلغ شيوعها أنها أخفت ما سواها من دلالات أخرى للفتح[3].

وتتميز هذه الوحدة الدلالية بمجموعة من السمات تربط بينها، نجملها في النقاط التالية:

---

(١) وقع التبادل بين النصر والفتح في موضع وسياق واحد مما يدل على علاقة الترادف بينهما كما جاء في القراءة المروية عن بن عباس ﴿إِذَا جَاءَ فَتْحُ اللهِ وَالنَّصْرُ﴾ والقراءة المشهورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾. انظر الكشاف (٤/ ٢٣٩) والمرشد الوجيز (١٤٠).

(٢) استخدمت اللغة العبرية لفظة الفتح بهذا المعنى لكنها قرنت بالمدينة أو بالأسوار وفي الأدب الجاهلي اقترنت بلفظة الباب أو لفظة الخرق بمعنى الصحراء انظر دراستنا لهذا المعنى في اللغة العبرية بالمبحث التاريخي والأدب الجاهلي.

(٣) دأب كثير من المسلمين على مر العصور على إطلاق تلك الدلالة ـ النصر والتبشير بالخير ـ في لفظة الفتح، في كل مناسبة يرغبون تحقيق أقصى النجاح والفوز فيها أو يصفون ما تم تحقيقه بالفعل سواء في الحروب أو الثورات ضد المحتلين أو كتائب المجاهدين أو تسمية المؤلفات العلمية والخطط الحربية في الجيوش والمساجد والمدارس والمحلات وغير ذلك يسمونها بالفتح استبشارًا وتفاؤلاً.
انظر الفصل الخاص بالتطور الدلالي ص (١٩١) وما بعدها.

١ـ اتفقت جميع آيات هذه الوحدة في تاريخ النزول فكلها آيات مدنية، وهي حقبة مناسبة لأجواء تلك الدلالة.

٢ـ الآيات التي حملت فيها لفظة الفتح دلالة التبشير بالرسالة وردت في سياق كبير يتحدث عن اليهود بشكل مفصل (مثل سورة البقرة) والآيات التي تحملت فيها اللفظة دلالة انتصار الرسالة وردت في سياق سورة نزلت بكاملها في شأن غزوات (الأنفال والفتح والنصر) أو في شأن أمور تتعلق بالحرب والجهاد (الصف والحديد).

٣ـ مصاحبات الفتح في هذه الوحدة هي النصر[١] والغنائم والأخذ[٢] والفوز وظهور الدين[٣] والإنفاق والقتال[٤] والتبشير[٥].

أولاً: الفتح بمعنى التبشير ببعثة النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[٦] وانتصار رسالته وجاء في ذلك أربع آيات:

الآية الأولى:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٧].

قال النيسابوري: «والتحقيق أن ذكر الكتاب في الآية كناية عن الرسول؛ لأن

(١) في سورة الفتح والنصر والصف.
(٢) في آيات فتح خيبر.
(٣) في آيات فتح الحديبية وخيبر والنصر والصف.
(٤) في آية سورة الحديد.
(٥) في آية سورة الصف.
(٦) سبق التبشير ببعثة النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عند أهل الكتاب نزولَ الوحي على رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بكثير وقدم كثير من الباحثين الأدلة الدامغة على وجود خبر البشارة في التوراة والإنجيل وقد شاعت هذه البشارة بين أهل الكتاب بدرجة كبيرة قبيل ظهور النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ. انظر خبر البشارة في تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (أبو عبدالله الترجمان)، القس أنسلم تورميدا الإسباني سابقاً، ص (٦٦، ٦٧، ٢٥٥ ـ ٢٨٤). وانظر كذلك: إعراب ثلاثين سورة (٢١٨) وعقيدة المؤمن (٣٠٦).
(٧) البقرة: ٢/ ٨٩.

الرسول يلزمه الكتاب عرفًا أو مجازًا»[1].

وقد ذكر المفسرون ثلاثة معانٍ محتملة لدلالة الاستفتاح الواردة في الآية، أوردها، أبو حيان وبيّن وجاهة كل معنى من ناحية النقل واللغة. قال: «يستفتحون، يستحكمون أو يستعلمون أو يستصرون أقوال ثلاثة» ثم عقب عليها بقوله: «وكل ذلك داخل في عموم الاستفتاح»[2].

وما وضحه لنا أبو حيان بعموم الدلالة في الآية هو ما تؤيده الشواهد فقد تعددت المواقف التي حدث فيها احتكاك مباشر بين العرب واليهود قبل بعثة النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إما سلمًا، وإما حربًا، وإما منافرة[3] ويكون اليهود قد رددوا الاستفتاح بالبشارة على مشركي العرب[4] إما على سبيل الاستخبار والاستعلام[5] في وقت السلم، وإما على سبيل الاستنصار في وقت الحرب، وإما على سبيل الاستحكام في أوقات المخاصمة والمنافرة، وغلبة العرب لهم، وقد جمعت الآية كل تلك المواقف وذمت موقف اليهود بعد حدوث البشارة. ولذلك ناسب أن تكون دلالة الفتح دلالة عامة في المعاني الثلاث.

الآية الثانية:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ

---

(١) غرائب القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤).

(٣) ذكر في التفسير بالمأثور، أن خبر الاستفتاح قد حدث من اليهود تجاه طوائف مختلفة من العرب (الأوس، والخزرج، وغطفان، وأناس من العرب، أو العرب جميعًا) ولا شك أن علاقات طوائف العرب وطوائف اليهود لم تكن على وتيرة واحدة. انظر في هذه الروايات: الدر المنثور (٨٧١، ٨٨) ومفاتيح الغيب (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٤) ذكر العلماء في سبب نزول الآية أن اليهود كانت إذا قاتلت أهل الشرك استنصروا الله عليهم باسم النبي المبعوث وذكروا أوصافه المكتوبة عندهم في التوراة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عنادًا وجحودًا وحبًّا في الرياسة. انظر في ذلك مجاز القرآن (١/ ٤٧) وتفسير غريب القرآن (٥٨) وغريب القرآن وتفسيره (٧٥) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٢٤). والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٩).

(٥) ذكر هذا المعنى الزمخشري ونقله النيسابوري والسيوطي دون ذكر مصدره قال الزمخشري: «وقيل معنى يستفتحون: يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيًّا يبعث منهم فد قرب أوانه والسين للمبالغة. أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم». انظر الكشاف (١/ ٨١)، وغرائب القرآن (١/ ٣٦٩)، ومعترك الأقران (٣/ ٤٥٨).

قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [1].

ساق المفسرون عدة معان للفتح في هذه الآية فقالوا إن معنى قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ هو:

١ـ بما أمركم الله به[2].

٢ـ بما أنزل عليكم في نعت محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[3] وذكروا في ذلك معاني من قبيل أخبر وبيَّن وقصَّ عليكم[4] ومنَّ عليكم[5] وأكرمكم[6].

٣ـ بما حكم الله عليكم به من العذاب.

٤ـ بما قضاه الله عليكم وأخذ ميثاقه به من اتباع محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[7].

وقد أسند الطبري في تفسيره [8] وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط[9] كل تلك الأقوال لأصحابها من الصحابة والتابعين والعلماء.

ونستنتج مما ذكره علماء السيرة والمفسرون حول معنى هذه الآية إفادة مؤداها أن القرآن الكريم تحدث عن عدة موضوعات تتعلق باليهود بشكل مجمل وتعرفها يهود بشكل مفصل وكان بعض اليهود يفشي بها للمسلمين فخشي الزعماء والأحبار من أن يقوض ذلك مركزها الديني والعلمي عند العرب لصالح الرسالة الجديدة، ويمكن أن نجمع هذه الموضوعات في محورين أساسيين:

الأول: ما يتعلق بقضية البشارة بالنبي العربي وصفاته في التوراة.

---

(١) البقرة: ٢/ ٧٦.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

(٣) المرجع السابق نفسه وانظر كذلك المحرر الوجيز (١/ ٢٦٨، ٢٦٩). وتنوير المقياس (٩) والكشاف (١/ ٧٧) وغرائب القرآن (/ ٣٥٠).

(٤) ذكر ذلك في معاني القرآن للفراء (١/ ٥٠) ومعاني القرآن للزجاج (١/ ١٥٨).

(٥) ذكره مجاز القرآن (١/ ٤٥).

(٦) الإتقان (٢/ ٤٨).

(٧) ذكر هذا المعنى والسابق عليه الماوردي في التفسير (١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٨) انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٦).

(٩) انظر البحر المحيط (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

الثاني: ما يتعلق بأحداث مرت باليهود منها حوادث الثواب وحسن الجزاء[١] وحوادث العقاب والمسخ والعذاب[٢]، ويدخل في هذا الإطار بعض الأوامر التي كلفوا بها[٣].

وبناء على ذلك يمكن أن ننظر إلى اختلاف المفسرين حول الدلالة على أنه من اختلاف التنوع لا من اختلاف التضاد، فمن قال إن معنى الفتح هو الحكم والقضاء نظر إلى حوادث العقاب الإلهي لبني إسرائيل.

ومن قال إن معناه إنزال المن والإكرام نظر إلى ما خص الله به بني إسرائيل من الفضل والإنعام في فترات معينة من تاريخهم. ومن قال إن معناه قصَّ وأخبر وأذكر وعرف وعلم وبين نظر إلى مطلق تلك الأمور وجعلها من دلائل الإقرار ببعثة محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأنه النبي المبشر به في التوراة ولكنه للعرب خاصة!

وتخلص من ذلك إلى أن دلالة الفتح تتجه نحو العلم والبيان وهي دلالة عامة في كل المعاني السابقة وذلك من وجهة نظري لسببين:

الأول: أن هذا العموم يتفق مع كل النقول والآثار الصحيحة[٤].

الثاني: أن هذه الدلالة تتفق مع ما توصلنا إليه في الفصل الخاص بمقابلة اللغتين العبرية والعربية حيث وجدت دلالة الفتح في اللغة العبرية بمعنى إزالة الجهل وكناية عن قول الحكمة وتنوير الجهلة[٥].

פֵּתַח דְּבָרֶיךָ יָאִיר מֵבִין פְּתָיִים

= (pēṯaḥ dĕbāreḵe yāir mēḇīn pĕṯāyīm)[٦].

---

(١) جاءت بذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ٤٧]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢/ ٥٧].

(٢) نقل المفسرون في سبب النزول أن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في حصاره لليهود ناداهم بقوله: «يا إخوة القردة والخنازير» فلام بعضهم بعضا وقالوا ما خرجت إلا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بما حكم الله عليكم من العذاب. انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر ما رواه البخاري في حكم الرجم في التوراة. فتح الباري (٦/ ٧٢٩).

(٤) انظر الهوامش السابقة حول هذه الآية.

(٥) انظر ما لاحظناه على هذه الكناية في المبحث التاريخي وتطورها عن فتح الفم أو الشفتين.

(٦) سفر المزامير (١١٩/ ١٣٠).

والمعنى «فَتْحُ كَلامِكَ يُنِيرُ يعقِّل الجُهَّال». ولم تكن يهودُ لترغب في إنارة أو إعلام العرب بأية قضية لا تخدم اليهود وقد سجل القرآن الكريم موقفهم العام تجاه العرب قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (١) ولا شك أن موقفهم تجاه المسلمين من العرب سيكون أشد إخفاءً وكتمانًا.

الآية الثالثة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(٢).

بعد وقوع البشارة وظهور النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شكك اليهود والمنافقون(٣) في انتصار رسالته وظهورها على العرب فجاءت الآية تكذب هذا الزعم وتؤكد انتصار الرسالة وتبشر بقدوم الفتح.

واتفق أغلب المفسرين على أن معنى الفتح في الآية هو النصر(٤) ولكنهم اختلفوا في تحديده أهو فتح مكة أم فتح قرى اليهود أم بقية فتوح النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والذي نختاره أن في الآية بشارة مطلقة بانتصار الإسلام، ومن مفردات تلك البشارة ما ذكره المفسرون من فتوح مختلفة وقد لاحظ ذلك ابن عطية بعد أن أورد الأقوال المختلفة في معنى الفتح قال: «وظاهر الفتح في الآية ظهور رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وعلو كلمته»(٥).

---

(١) آل عمران: ٣/ ٧٥.

(٢) المائدة: ٥/ ٥٢.

(٣) والي عبدالله بن أبي بن أبي سلول اليهود في عدة مواقف ظنا منه أن الدائرة ستدور على المسلمين ولن يبقى له إلا اليهود فقال عبارته المشهورة «إني امرؤ أخشى الدوائر» يقول ابن عطية: لفظ محفوظ عن عبدالله بن أبي المنافق ولا محالة أنه قال بقوله منافقون كثير. انظر المحرر الوجيز (٥/ ١٣٠) وانظر الرحيق المختوم (٢٦٦)، وانظر نور اليقين (١٢٦، ١٢٧).
ونقل ابن الجوزي بعض الآيات في تشكيك المنافقين واليهود في انتصار هذه الرسالة. انظر زاد المسير (٦/ ٣٥٩).

(٤) انظر مجاز القرآن (١/ ١٦٩) والبحر المحيط (٣/ ٥٠٧، ٥٠٨) وتفسير الجلالين (١٢٣) وذكر بعضهم بعض المعاني إضافة إلى هذا المعنى فسماه ابن قتيبة أن معناه الفرج (تفسير غريب القرآن ١٤٤). وذكر الماوردي (٢/ ٤٧) أن من معانيه الحكم في هذه الآية.

(٥) المحرر الوجيز (١٣٠).

وصرح بهذا المعنى أبو حيان فقال: «هذه بشارة للرسول وللمؤمنين بوعده ـ تَعَالَى ـ بالفتح والنصر»[1].

وقد خص الزمخشري[2] وابن عطية[3] وأبو حيان[4] والنيسابوري دلالة الفتح الموعود به في الآية ـ بما يترتب على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه ويسببه جدهم وعملهم وهذا ما صرحت به الآية الرابعة.

الآية الرابعة:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [5].

تشير الآية إلى جنس الفتح المترتب على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه وأنه قريب من المؤمنين بشرط سابق في السياق وهو قوله ـ تَعَالَى ـ ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [6] ولم يحدده المفسرون بفتح من الفتوح ولكنهم اتفقوا على أن معنى الفتح هو النصر والظفر الذي يترتب على الجهاد في سبيل الله[7].

ثانيًا: بعض الانتصارات التي حققها المسلمون في العهد المدني وسماها القرآن الكريم فتحًا:

١. غزوة بدر:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [8].

ونرصد في دلالة الفتح في هذه الآية معنيين اثنين قال بهما المفسرون الأول: الفتح

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٥٠٧).

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٤).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ١٣٠).

(٤) البحر المحيط (٣/ ٥٠٨) غرائب القرآن (٦/ ١١).

(٥) الصف: ٦١/ ١٣.

(٦) الصف: ٦١/ ١١.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٦٦) وتفسير الماوردي (٥/ ٥٣١) وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤/ ٤٢٣). والمحرر الوجيز (١٥/ ٥١٠) وغرائب القرآن (٢٨/ ٤٦). وتفسر الجلالين (٥٩٧).

(٨) الأنفال: ٨/ ١٩.

يعني النصر[1]، والثاني: الفتح يعني الحكم والقضاء [2] ويرجع هذا الاختلاف في فهم الدلالة في رأيي لأمرين:

١ـ حمل مرجع ضمير الخطاب في الآية على وجهين فإن عاد على المؤمنين ناسبته دلالة النصر[3] وإن عاد على الكافرين ناسبته الدلالتان.

٢ـ صلاحية المعنى في الحالتين لأحد التوجيهين.

ويمكن أن نستبعد من قال بأن مرجع الضمير في صدر الآية موجه للمؤمنين ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ وبقية ضمائر الآية موجهة للكافرين[4] وذلك لوجود قرينة العطف لتي تمنع ذلك وتجعل الخطاب نسقًا واحدًا.

ونرى أن دلالة الفتح في الآية تتجه نحو معنى النصر والمراد منه غزوة بدر وذلك في رأيي لقرائن ثلاث:

١ـ اتفاق المفسرين وعلماء أسباب النزول على أن السورة قد نزلت في شأن غزوة بدر[5].

٢ ـ الموقف الذي وردت فيه الآية ليس موقف منافرة ومخاصمة، وإنما موقف قتال ورمي وزحف وثبات وبلاء[6].

٣ ـ لاحظ أبو حيان أن الخطاب موجه للمؤمنين بقرينه السياق فقد سبقت الآية

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٤٥) وتفسير غريب القرآن (١٧٨) وغريب القرآن وتفسيره (١٥٨) ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٠٦).

(٢) هو قول مروي عن عكرمة في غرائب القرآن (٩/ ١٣٦) وعن عكرمة ومجاهد وقتادة في زاد المسير (٣/ ٣٣٥) وذكره جامع تفسر مجاهد (٣٥٣) وانظر تفسير الجلالين (١٨٨). وذكر المعنيين معا ابن كثير (انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٩٦) والسيوطي (الدر المنثور ٣/ ١٧٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٤/ ٤٧٨).

(٤) ذكره أبو حيان لطائفة من المفسرين المرجع السابق (٤/ ٤٧٩).

(٥) انظر الكشاف (٢/ ١٢٠) ، والدر المنثور (٣/ ١٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٩٦)، والبحر المحيط (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩).

(٦) من خلال دراسة المصاحبات اللفظية للسياق وجدنا أن مصاحبات فتح بمعنى حكم هي فصل وحكم وقضى ومرتبطة بالظرف (بين) ومصاحبات فتح بمعنى النصر والظفر هي لفظة نصر أو لفظة تدل على القتال والحرب وسياق معنى حكم سياق خصومة ومنافرة في غير وقت الحرب وإنما في سياق حرب الكلام والجدل.

بنداء للمؤمنين وتبعتها آية نداء كذلك[1].

٢. صلح الحديبية:

قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [2].

بين لنا فريق من اللغويين والمفسرين دلالة الفتح في هذه الآية عن طريق عرض الدلالة الأصلية لمادة الفتح وهي فتح الشيء المغلق ثم بيّنوا الدلالة التجريدية المرادة من ذلك وهي صلح الحديبية يقول الفراء في هذا المعنى: «كان فتح وفيه قتال قليل، مراماة بالحجارة، فالفتح قد يكون صلحا، ويكون أخذ الشيء عَنْوةً، ويكون بالقتال وإنما أريد به صلح الحديبية»[3] وقال الزجاج: «والفتح إنما هو الظفر بالمكان والمدينة والقرية كان بحرب أو بغير حرب أو كان دخول عنوة أو صلح، فهو فتح لأن الموضع إنما يكون منغلقًا فإذا صار في اليد فهو فتح»[4] وقال بتلك الدلالة الأصلية الزمخشري[5] إلا أنه جعل الفتح المقصود هو فتح مكة، ولاحظ النيسابوري وابن الجوزي الدلالة الأصلية إلا أنهما اتفقا على أن المراد بالفتح الصلح وهي الدلالة الكنائية المجردة يروي ابن الجوزي ذلك قائلا: «إن معنى الفتح في اللغة فتح المغلق، والصلح الذي جعل مع المشركين كان مسدودًا متعذرًا حتى فتحه الله»[6] وسماه النيسابوري (الظفر بالصلح)[7].

واختار فريق آخر معنى الحكم والقضاء إلا أنهم قالوا إن المعنى في الآية إنا قضينا لك بفتح مكة أو قضينا لك بالنصر والظَّفَر على كل أعدائك أو حكمنا لك بالإسلام والنبوة والحجة والسيف وهذا الفريق وإن كان فسر الفتح بالحكم والقضاء إلا أنه جعله خاصًا

(١) انظر تفسير أبي حيان لذلك في ضوء الآيات السابقة واللاحقة للآية التي نحن بصدد الحديث عنها. البحر المحيط (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩).

(٢) الفتح: ٤٨/ ١، ٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٤). ويريد بـ كان فتح أي حدث فتح على معنى كان التامة .

(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩، ٢٠).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٦١).

(٦) زاد المسير (٧/ ٤٢٠).

(٧) غرائب القرآن (٢٦/ ٣٩).

بالنصر والغلبة والتمكين وهو منسوب لقتادة[1] وابن قتيبة[2] ومقاتل[3] وروته كتب التفسير مثل المحرر الوجيز[4] وتفسير الماوردي[5] والجلالين[6] واختاره الطبري[7].

وذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن عن ابن عباس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - في معنى هذه الآية كنت أقرؤها ولا أدري ما هي حتى تزوجت بنت مشرح الكندية فقالت: «ففتح الله بيني وبينك» أي حكم الله بيني وبينك[8].

وقال فريق ثالث الفتح في الآية بمعنى الإرشاد والهداية والعلم يقول الماوردي «معنى الفتح العلم، أي أعلمناك علمًا مبينًا فيما أنزلنا عليك من القرآن وأمرناك به من الدين، وقد يعبر عن العلم بالفتح»[9].

ونخلص من أقوال اللغويين والمفسرين إلى عدة نتائج نجملها فيما يلي:

- اتفاق جميع المصادر التي أشرت إليها أن سورة الفتح - والتي سميت بهذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها - نزلت عقب انصراف النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الحديبية[10] وما ورد من الآثار الصحيحة بأن الرسول - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سمي هذا

(1) روي عن قتادة في غرائب القرآن (26/ 40).

(2) تفسير غريب القرآن (412) وروي عنه في زاد المسير (7/ 419).

(3) روي في المرجع السابق نفسه.

(4) المحرر الوجيز (15/ 185).

(5) تفسير الماوردي (5/ 309).

(6) تفسير الجلالين (548).

(7) تفسير الطبري (26/ 42، 43).

(8) تأويل مشكل القرآن (492) وقد تعرضنا لهذه المقولة في المبحث التاريخي وبينا مصدر هذه الدلالة وسنوضح في الوحدة الثالثة أن من مصاحبة مادة (فتح) للظرف (بين) تنتج دلالة حكم أما مصاحبة فتح مع (اللام). فإنها تتبع إزالة الإغلاق سواء على الحقيقة أو المجاز كما بينا بالوحدة الأولى.

(9) تفسير الماوردي (5/ 309).

(10) انظر الأسانيد التي رواها أبو جعفر النحاس في ذلك (إعراب القرآن 4/ 195) وما ذكره تفسير الجلالين (548) وما ذكره الإمام البخاري في الصحيح فتح الباري (7/ 505) وانظر شرح الإمام بن حجر وتفصيل القول في هذا الفتح. المرجع السابق (7/ 506) وانظر كذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس في معنى الآية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. قال: الحديبية. المرجع السابق (8/ 447).

الصلح فتحًا عندما سأله عمر بن الخطاب - رَضِيَ الله عَنْهُ - أو فتحٌ هو يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح[1].

- المجال الدلالي للسورة يتحدث عن مصاحبات لفظية لا ترد إلا في سياق الحرب والقتال في حالة تعذر الصلح أو إتمامه مثل: النصر والبيعة والقتال والبأس والظفر والمغانم.

- إن مصاحبة مادة فتح لحرف اللام لا تأتي إلا بمعنى إزالة الإغلاق سواء على سبيل الحقيقة أو الكناية والمجاز كما اتضح لنا من دراسة المصاحبات المختلفة لمادة الفتح في الأدب الجاهلي والوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم وهو ما يتفق مع الفريق الذي فسر الفتح بأنه تطور دلالي عن فتح المغلق كما بينا منذ قليل.

٢. فتح خيبر:

وجاء في ذلك الفتح آيتان:

قال - تَعَالَى -: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2].

وقال - تَعَالَى -: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

قال أبو جعفر النحاس[4]: «أكثر أهل التفسير على أنه فتح خيبر كان لأهل الحديبية» وقال الزمخشري[5]: «وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح

---

(١) انظر البحر المحيط (٨/ ٨٩) وأخرج الإمام البخاري في الصحيح موقوفًا عن البراء - رَضِيَ الله عَنْهُ - قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية».
فتح الباري (٧/ ٥٠٥).

(٢) الفتح: ٤٨/ ١٨.

(٣) الفتح: ٤٨/ ٢٧.

(٤) إعراب القرآن (٤/ ٢٠١) وانظر ما نقله الإمام ابن حجر بأن المراد بالفتح القريب هو فتح خيبر حيث قال: «المراد بها - أي الآية - فتح خيبر على الصحيح لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين «فتح الباري (٧/ ٥٠٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٤٦٨).

الموعود» وقال أيضًا: «إن رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رأى فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وحي، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامةً وعنوانًا لفتح مكة»[١].

وهو رأي الزجاج[٢] ومروي عن ابن عباس وعن عطاء ومقاتل وابن زيد[٣] وقال بعض المفسرين هو فتح الحديبية[٤] وهو مردود بقرينة نزول الآية نتيجة لبيعة الرضوان ومكافأة لرضا المؤمنين بالصلح، ومن قال إنه فتح مكة أو فتح هجر[٥] رد عليهم ابن عطية بأن هذه الفتوح لم تكن أقربها لنزول الوعد[٦] وعقب أبو حيان الأندلسي بقوله[٧]: «والقرب أمر نسبي لكن فتح خيبر كان أقرب» والآية تحمل قرينة تمنع أن يكون المقصود بالفتح فتح مكة لقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ ثم قال ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ولا تنطبق أوصاف المغانم الكثيرة المترتبة على هذا الفتح إلا على أرض خيبر ذات المال والعقار.

٤. فتح مكة:

ذكر بعض المفسرين أن المراد بالفتح في كثير من الآيات كما رأينا في الوحدتين الثانية والثالثة هو فتح مكة لكننا لم نأخذ به لمناسبته لمعان أخرى ـ أشرت إليه في حينها ـ والذي دعاهم لذلك ـ في رأيي ـ هو شهرة فتح مكة[٨] عند المؤرخين وقبله عند المحدثين وهي الغزوة التي سميت بغزوة الفتح في كتب الحديث وسمي العام الذي فتحت فيه مكة بعام

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٦٥، ٤٦٦).

(٢) انظر معاني القرآن (٥/ ٢٥).

(٣) زاد المسير (٧/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٤).

(٤) انظر المرجع السابق نفسه وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤/ ٢٠١).

(٥) فتح هجر ذكره الزمخشري عن الحسن. انظر الكشاف (٣/ ٤٦٨). وذكر فتح مكة في إعراب القرآن لأبي جعفر (٤/ ٢٠١) والمحرر الوجيز (١٥/ ١٠٦).

(٦) المرجع السابق (١٥/ ١٢١) وغرائب القرآن (٢٦/ ٤٦).

(٧) البحر المحيط (٨/ ٧٨، ١٠١).

(٨) انظر فتح الباري (٧/ ٥٩٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦١٣، ٦١٥). وقد عرف «فتح مكة» بأنه «فتح الفتوح» ويشبه به كل فتح جليل القدر. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (٦٨٥).

الفتح ونحو ذلك[1].

وقد وردت آيتان لا يتفق إطلاق دلالة الفتح فيهما إلا على فتح مكة كما سنرى وهما قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة الحديد[2]﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُولَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وهي تدل على عِز الإسلام وقوة أهله ومن علامات ذلك تفضيل السابقين في الإسلام وذلك لدخولهم وقت الشدة والأذى أي قبل الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقد اتفق معظم المفسرين على أن ذلك لم يحدث إلا بعد الفتح وهو فتح مكة[3] وما ذكر من الفتح المراد هو فتح الحديبية[4] لا تؤيده دلالة كمال الرسالة وانتصارها انتصارًا حاسمًا.

والآية الثانية هي سورة النصر[5] قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[6].

***

(١) وهو الفتح الوارد بصيغة التجريد المعرفة في قول النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «لا هجرة بعد الفتح».

(٢) الحديد: ٧٥/ ١٠.

(٣) انظر إعراب القرآن لأبي جعفر (٤/ ٢٥٣) وتفسير القرطبي (٢٧/ ١٢٧) وتفسر الماوردي (٥/ ٤٧١) والمحرر الوجيز (١٥/ ٤٠٣) وغرائب القرآن (٢٧/ ٩٥) وتفسير الجلالين (٥٨١).

(٤) وهو قول مروي عن الشعبي في عدة مصادر.
انظر زاد المسير (٨/ ١٦٤).

(٥) النصر: (١١٠/ ١ـ٣) وقد أجمع المفسرون على الفتح المقصود هو فتح مكة.
انظر في ذلك فتح الباري (٧/ ٥٠٦) ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٧) وتفسير مجاهد (٧٥٨) وتفسير الطبري (٣٠/ ٢١٥) (غير المحقق) وتفسير الماوردي (٦/ ٣٦٠) وتفسير الجلالين (٦٦٥، ٦٦٦) وتنوير المقباس (٣٩٧).

(٦) وقالوا أن ذلك كان علامة لدنو أجله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بعد كمال الفتح.
انظر في ذلك فتح الباري (٧/ ٦١٣، ٦١٤) وتفسير التستري (١٩٨) ولطائف الإشارات (٦/ ٣٤٧).

الوحدة الدلالية الثالثة:

(الفتح عندما يكون بمعنى الحكم والقضاء في القرآن الكريم)

الآيات

قال ـ تعالى ـ:

١ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١١٧، ١١٨].

٢ـ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩].

٣ـ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٦].

٤ـ ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٥].

٥ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٢/ ٢٨ـ ٣٠].

وقفنا في المبحث التاريخي عند المناسبة التاريخية التي تطورت من خلالها لفظة الفتح إلى معنى الحكم والقضاء، والخلفية المعرفية لذلك التطور (ممثلة في البيئة الثقافية) وتلمسنا الطريق التي سلكتها تلك الدلالة عبر وسائل متعددة للوصول إلى مستوى اللغة الفصحى، ثم جاء القرآن الكريم، واستخدم تلك الدلالة، لكنه وسع من استخدامه لها وأمدها بمفاهيم جديدة تتلاءم مع المفاهيم القرآنية حول الخلق والكون والحياة. ستتضح من خلال السياق القرآني لتلك الدلالة.

وإذا نظرنا إلى الآيات التي وردت فيها لفظة الفتح محملة بتلك الدلالة ـ دلالة الحكم والقضاء ـ وجدناها على ضربين:

الأول: يحتوي على محددات دلالية تفصل معناه عن المعاني الأخرى للفظة الفتح وتقصره على معنى واحد هو معنى الحكم القضاء وآيات هذا الضرب قطعية الدلالة في ذلك.

الثاني: لا تحتوي الآيات فيه على محددات مباشرة فدلالة الحكم والقضاء دلالة محتملة أو ظنية ومع ذلك توجد بعض القرائن التي رجحت لدينا اتجاه دلالة اللفظة نحو الحكم والقضاء، وهذا الضرب نضعه تحت «الغموض الدلالي»[1]. ونتوصل إليه من خلال الضرب الأول.

أولا: المحدد الدلالي:

ائتلاف الفعل والظرف (فتح + بين)

لا بأس أن نستخدم هذا التعبير محددًا دلاليًا لتلك الوحدة فهو مصطلح معروف في علم اللغة وشائع عن الانكليزية (phrasal verb) في مثل الأفعال يخترع (Make up) ويستسلم (give in) ويقمع (put down) يقول عنه بالمر:

«فمعنى هذه الائتلافات لا يمكن التنبؤ به من الفعل وحده أو الظرف وحده»[2].

وإن كان بالمر قد جعل منه نوعا من المصطلحات أو التعبيرات فإننا نعدهن مظهرا من مظاهر السلوك اللغوي العام الذي تتبعه اللغة في التحديد الدلالي للألفاظ[3] ، وقد

---

(١) انظر المقدمة المنهجية بالمبحث الدلالي.

(٢) علم الدلالة. إطار جديد (١٥١).

(٣) قسم النحاة العرب الكلام على ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف وارتبط الاسم والفعل بوجود الحدث على حين استقل الحرف عنهما، وقد عالجت كتب النحو جزئيا علاقات الفعل والاسم بالحرف في أبواب النحو المختلفة إذ اهتمت المؤلفات النحوية ببيان وظيفة الحروف على حين تناول المعجم تأثير الحروف عندما تأتلف بالأفعال في اختلاف دلالة الفعل. ولا يبعد تقسيم العلماء المحدثين بالكلمات عن تقسيم اللغويين العرب هذا فقد قسم اللغوي الإنكليزي هنري سويت (Henry Sweet) الكلمات إلى: كلمات تامة (ful)، وكلمات صورية (Form) وأراد بالكلمات التامة، الأسماء والأفعال، وبالكلمات الصورية ـ الحروف (انظر دور الكلمة في اللغة ٥٨ ـ ٦١) وتابع اللغويون هنري سويت على هذا التقسيم، ولاحظ «بالمر» أن الأدوات أو الحروف تدرس بشكل=

اتضح لنا من خلال دراسة مادة الفتح الدور الحاسم الذي يؤديه الظرف وحرف الجر في تمييز المعنى وفصله عن بقية المعاني المتعددة، وما يترتب على هذا الائتلاف من ظواهر دلالية مثل الترادف والتضاد.[١]

وبعد مطالعة ذلك المحدد ـ ائتلاف الفعل والظرف في هذه الوحدة الدلالية ـ وجدنا القرآن الكريم يستخدم الظرف (بين) مصاحبا للفعل (فتح) للدلالة على معنى الحكم والقضاء وإذا استقصينا بعض الأفعال الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم مثل (حكم/ قضى/ فصل) وجدنا الظرف (بين) هو المميز لهذا المعنى عن غيره من معاني تلك الأفعال[٢].

ويمكن أن نصوغ علاقة (فتح) الدلالية في ضوء قرينة الظرف على النحو التالي:

قائمة (أ)		قائمة (ب)
حكم	ترادف ↑	فتح
قضى		حكم
فتح	+ بين	فصل
فصل		قضى

ويمكن أن نصوغ العلاقة الدلالية على النحو التالي:

أي فعل في القائمة (أ) يرادف جميع الأفعال في القائمة (ب) في دلالة الحكم

= مكثف في المؤلفات النحوية بينما يركز المعجم على الكلمات بين نوع الأسماء والأفعال انظر علم الدلالة إطار جديد ٦٢

(١) انظر دور حروف الجر في إيجاد نوع من الترادف مثل (فتح على ـ أرسل على ـ أنزل على)، (فتح بين ـ حكم بين ـ فصل بين) والتضاد (فتح لـ فتح على) مما عالجناه في المبحث الخاص بالمشترك اللفظي عند القدماء.

(٢) وردت الصيغة الفعلية من مادة (حكم) قرابة خمسين مرة في القرآن الكريم ارتبطت في خمس وعشرين منها بالظرف (بين) (المعجم المفهرس :٢١٢)، بينما ارتبطت الصيغة الفعلية من (قضى) بالظرف (بين) في ثلاثة عشر موضعًا وهي المواضع التي جاءت فيها بمعنى الحكم (المرجع السابق ٥٤٧) وارتبط الفعل (فصل) بذلك الظرف في ثلاثة مواضع دل فيها على هذا المعنى. (المرجع السابع: ٥٢٠).

والقضاء بشرط أن يأتلف بالظرف (بين).

وقد وردت لفظة (الفتح) في صيغتها الفعلية مقترنة بالظرف (بين) ـ في ثلاث آيات مكية[1]. وبيانها كما يلي:

الأولى: في إطار حوار نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه وتأتي المفاتحة في نهاية الحوار قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١١٧ ـ ١١٨].

والثانية: في نهاية الحوار الذي دار بين شعيب ـ عليه السلام ـ ومعه فريق المؤمنين من جهة وبين الكافرين من جهة أخرى قال ـ تَعَالَى ـ على لسان المؤمنين: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩].

والثالثة: توجيه من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لنبيه محمد ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في محاورته للكافرين بأن الحكم الذي لا لبس فيه إنما يقضي به الله الفتاح العليم، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٦].

ويتبين لنا من دراسة هذه الآيات في سياقها القرآني ومما نقله المفسرون عدة ملحوظات دلالية:

١ـ اقترن الفعل بالظرف (بين) في الآيات الثلاث.

٢ـ جاءت الآيات ختاما لحوار وصل إلى درجة الجدل العقيم من قبل الكافرين مع اقترانه بالإيذاء والتكذيب فلم تبق حيلةٌ ولا وسيلةٌ يملكها الأنبياء إلا الاحتكام إلى الله[2].

(١) انظر ما نقله السيوطي عن سور (الأعراف والشعراء وسبأ) الاتقان (١/ ٢٤، و٢٥) وانظر زاد المسير (٦/ ٤٣١، و١١٤، و٣٣٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن: (٧/ ١٦٠، و١٣/ ٨٧، ١٤/ ٢٥٩). وهي السور التي ذكرت فيها الآيات الثلاث.

(٢) في محاورة نوح لقومه انظر الملحق الخاص بذلك وفي محاورة شعيب انظر الآيات (٨٥ ـ ٨٩) من=

٣ـ اتفقت الإجابة الإلهية لاستفتاح الأنبياء في أولئكم الآيات بعقاب الكافرين ونجاة المؤمنين.

٤ـ اتفقت الآيات من ناحية تاريخ النزول فكلها آيات مكية.

٥ـ اتفق المفسرون ـ فيما استقصيت من تفاسير ـ على أن معنى الفتح فيها هو الحكم والقضاء[1].

٦) جاءت دلالة (الفتاح)[2]. في الآية الثالثة سبأ: (٣٤/ ٢٦) بمعنى الحاكم الذي لا يرد حكمه، والقاضي الذي يباشر تنفيذ ما يحكم به ـ منسجمة مع السياق العام للسورة التي وردت بها حيث تحدثت السورة عن سبأ ومملكة سبأ في بلاد اليمن التي ولدت فيها تلك الدلالة كما بينا ذلك بالمبحث التاريخي.

ثانيًا: الآيات ظنية الدلالة (غموض المعنى):

وقد ورد من ذلك آيتان:

١ـ الأولى: قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة إبراهيم: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ في إطار حوار بين كوكبة من الأنبياء وأقوامهم المكذبين بالرسالات والمجادلين بالباطل وكانت الآية الكريمة هي خاتمة هذا الحوار[3].

= سورة الأعراف. والآيات (٢١ ـ ٢٦) من سورة سبأ في توجيه النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ. وانظر كذلك ما نقله ابن كثير في حوار شعب لقومه (٢/ ٢٣٢) وانظر كذلك غرائب القرآن (١٩/ ٦٢).

(١) انظر في ذلك: تفسير غريب القرآن: (١٧٠، و٢٥٧، و٣١٨) وغرائب القرآن: (٩/ ٧، و١٩، ٦٢، و٣/ ٥٥)، ومعاني القرآن للفراء: (١/ ٣٨٥)، ومجاز القرآن (١/ ٢٢٠، و٢/ ٨٧)، وغريب القرآن وتفسيره: (/ ١٤٨)، وتفسير الطبري: (١٩/ ٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٥٣٨)، وتنوير المقباس: (٢٣١، و٢٦٧)، وتفسير الماوردي: (٢/ ٤٤٥)، والكشاف: (٢/ ٧٦، ٣/ ١٣١، و٢٥٩)، والمحرر الوجيز: (٧/ ١١٣، و١٢/ ٧١، و١٣/ ١٣٨)، والإتقان: (٢/ ١٣، و٣١)، والدر المنثور (٣/ ١٠٢)، وتفسير الجلالين (٣٩٤، و٤٥٨، و٦٧٠)، وانظر فتح الباري: (٨/ ١٤٧).

(٢) تحدثنا عن هذه الصيغة في المبحث التاريخي في لغات اليمن وحققنا الوثائق اللغوية التي وردت في هذا الشأن.

(٣) عرض القرآن الكريم هذا الحوار على لسان الرسل مجتمعين حكاية عن مسلكهم في الحوار =

وقد اختلف المفسرون حول دلالة الاستفتاح في هذه الآية ولخص لنا الزمخشري هذا الخلاف وقدم معنى محتملاً غير المعاني التي دار حولها الخلاف ومجمل ما ذكر الزمخشري[1]. هو جمع لكلام المفسيرين واللغويين حول دلالة لفظ الاستفتاح حيث قال: «واستفتحوا: واستنصروا الله على أعدائهم أو استحكموا الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة .. وقرئ (إِسْتَفْتِحُوا) بلفظ الأمر[2]. وعطفه على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم (لنهلكن..) وقال لهم استفتحوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم.

وقيل: واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه «ثم قال الزمخشري بعد ذلك: «ويُحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا ـ والفتح المطر[3]. ـ في سني القحط التي

= ومسلك الأقوام المكذبة وتأتي الآية في نهاية هذا الحوار، قال ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٩ ـ ١٥].

(١) انظر الكشاف (٢/ ٢٩٧) وانظر ما حكاه عنه النيسابوري في غرائب القرآن (١٣/ ١١٥).

(٢) قال ابن الجوزي: قرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، وابن محيصن (واستفتحوا) بكسر التاء على الأمر. وانظر زاد المسير (٤/ ٣٥١) وانظر كذلك المحرر الوجيز (١٠/ ١٧).

(٣) هذه الدلالة انفرد بها الزمخشري عن بقية المفسرين، وقد بحثت عن هذه الدلالة. والفتح بمعنى المطر ـ فوجدت أن الفتح يطلق ويراد به الماء الجاري أو الماء السيح ـ وهي من صفات المطر ـ فقالوا الماء الفتح إلى الأرض ليسقى به وعن أبي حنيفة: والفتح الماء الجاري على وجه الأرض وجاء في الحديث: «ما سقى فتحا ففيه العشر» وفي رواية أخرى (ما روى سيحا) (انظر كتاب الخراج ١٦٤) وذكر أبو طاهر التميمي أن النهر: الفتح والفتح النصر (انظر المسلسل في غريب لغة العرب (٢٩٤) وقد نصرت البلاد إذا مطرت فهي منصورة أي ممطورة، وفي الحديث: (أن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب) اللسان (٦/ ٤٤٤٠) ويبدو أن هذه المعاني الأولى معان حسية حيث يعني النصر والفتح/ المطر ويمكن أن نفسر ما ذكرته المعاجم عن النباتات التي تسمى بالفتح والفتاتيح أنها نباتات =

أرسلت عليهم بدعوة رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك، وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد، وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار. واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم».

ويمكن أن نميز في اجتهادات المفسرين عدة معانٍ بعضها معانٍ عامة في الرسل وأقوامهم، وبعضُها معانٍ جزئية تَخُص أحد الفريقين وبيانها كما يلي:

١ـ معنى الحكم والقضاء استحكموا الله وسألوه القضاء[١].

٢ـ معنى النصر استنصروا الله وسألوه النصر[٢].

٣ـ معنى المطر استمطروا الله وسألوه السقيا[٣].

٤ـ الابتداء بالدعاء[٤].

= تنجم عن هذا الماء الفتح أو السيح ولكن لا نستطيع أن نفسر دلالة الاستفتاح في الآية بما ذكره الزمخشري.

(١) قال ابن كثير في التفسير: «استنصرت الرسل ربها على قومها، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها مما قالوا: {} ثم قال ابن كثير معقبا على ذلك: ويحتمل أن يكون هذا مرادًا، وهذا مرادا... والله أعلم انظر تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٥٢٦)، وقال ابن عطية: «والاستفتاح: طلب الحكم، والفتاح: الحاكم والمعنى: أن الرسل استفتحوا أي سألوا الله ـ تَعَالَىٰ ـ إنفاذ الحكم بنصرهم وتعذيب الكفرة، وقيل: بل استفتح الكفار، على نحو قول قريش: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ «انظر المحرر الوجيز ١٠/ ٧١، و٧٢) وقال النيسابوري: «قوله: (واستفتحوا) الضمير إما للرسل والمعنى: استنصروا الله على أعدائهم، أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من (الفتاحة وهي الحكومة، وإما للكفرة بناء على ظنهم أنهم على الحق والرسل على الباطل.. وأصل الكلام على الأول ـ تقدير الضمير للرسل ـ واستفتح الرسل وخاب الكفرة، وعلى الثاني تقدير الضمير للكفرة ـ استفتحوا وخابوا، فوضع الأعم موضع الأخص والظاهر مقام الضمير تنصيصا على الكفرة بأن سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم» انظر غرائب القرآن (١٣/ ١١٤). وقال السيوطي: الضمير للرسل، أي استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم انظر معترك الأقران (٣/ ٣٨٦).

(٢) اقتصر فريق من العلماء على ذكر معنى واحد هو النصر والمظاهرة انظر في ذلك مجاز القرآن (١/ ٣٣٧) وتفسير مجاهد (٤١٠) وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في زادر المسير (٤/ ٣٥١) وقد جعل الإمام القرطبي الاستنصار من الفريقين انظر الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٤٩) وانظر تنوير المقباس (١٦١) وتفسير الجلالين (٢٧٠).

(٣) وهو رأي الزمخشري المشار إليه.

(٤) ذكره الماودري في التفسير ٣/ ١٢٧ وتبناه سيد قطب في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٩٣).

على أنه قد رجح بعضهم أن ضمير (واو الجماعة) المتصل بالفعل عائد على المؤمنين في المعنى الأول والثاني[١]. وعائد على الكافرين في المعنى الثالث خاصة ويحتمل مرجعه للفريقين في المعنى الرابع[٢]. وكذلك الحال في القراءة بفعل الأمر (واستفتحوا).

وأظن أن السبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل:

١ـ تعدد دلالة لفظة الفتح ـ فهي كما نعلم من المشترك اللفظي ـ في ظل غياب قرينة مصاحبة سواء بالتضاد أو بالترادف، أو أية قرينة لغوية أخرى، حيث جاءت صفة الفعل مطلقة.

٢ـ عدم تحديد مرجع الضمير المتصل بالفعل على وجه قاطع لاحتمال عوده على فريقيّ الحوار.

٣ـ صحة المعنى على جميع الوجوه والتقديرات.

ونخلص من ذلك كله إلى أن دلالة الاستفتاح عند هؤلاء المفسرين في هذه الآية دلالة ظنية، وإن ترجح لدينا معنى الحكم والقضاء فلعدة قرائن:

فبداية نستبعد المعنى الذي تفرد به الزمخشري وهو معنى الاستمطار وذلك لاعتماده على قطع الآية عن سياقها السابق واللاحق وتأوله لما بعد الآية بما يتناسب معها (انظر احتمال الزمخشري السابق).

ـ وجود الحوار الذي أشرنا إليه في الآيات قطعية الدلالة السابقة وعناصره وتشابه الختام ـ ختام الحوار ـ والنتائج المترتبة عليه واتفاق الإجابة والاتفاق من ناحية تاريخ النزول[٣]. كل هذا يرجح لدينا أن هذا الاستفتاح هو احتكام إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من قبل الأنبياء بعدما فقدوا الأمل في قبول المشركين لدعوتهم على ما جرت به سنة الأنبياء من تفويض الأمر إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في وقت الشدائد.

---

(١) انظر كلام النيسابوري المشار إليه منذ قليل.

(٢) انظر رأي ابن كثير المشار إليه وكذلك كلام الزمخشري.

(٣) فهي سورة مكية.

وانظر في ذلك ما ذكره ابن الجوزي عن مكية السورة سورة إبراهيم ـ وعدم وجود خلاف بين العلماء في مكيتها. زاد المسير (٤/ ٣٤٣) وانظر الاتقان (١/ ٢٤، و٢٥) وانظر ما ذكره القرطبي في مكية هذه السورة. الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٣٨).

الآية الثانية:

ورد من الآيات ظنية الدلالة في معنى الفتح قوله ـ تَعَالَى ـ في سورة السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة:٣٢/ ٢٨ـ ٣٠].

ويمكن أن نجمل أقوال المفسرين حول دلالة الفتح في الآيات في معنيين اثنين:(١).

الأول: الفتح في الآية بمعنى الحكم، وبالتالي يصبح المشار إليه بيوم الفتح هو يوم القيامة.

الثاني: الفتح في الآية بمعنى النصر، وبالتالي يصبح المشار إليه بيوم الفتح هو فتح بدر أو فتح مكة.

وقد احتج الفريق(٢). الذي ذكر أن معنى الفتح هو الحكم والقضاء في هاتين الآيتين ـ بقرينة موجودة في الآية وواقع حدث من السيرة النبوية قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك قول من قال معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم (أي العذاب)، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شك ـ ولا زال الكلام للطبري ـ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل الفتح وبعده، ولو كان معنى قوله (متى الفتح) على ما قاله من قال يعني فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد الفتح ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين»(٣).

---

(١) ذكر الماوردي في التفسير ثلاثة أقوال في معنى الفتح:

١ـ أنه فتح مكة (قاله الفراء).

٢ـ أن الفتح انقضى بعذابهم في الدنيا (قاله السدي).

٣ـ الحكم بالثواب والعقاب (قاله مجاهد). وذكر مثل ذلك في يوم الفتح. انظر تفسير الماودري (٤/ ٣٦٨). وذكر ابن الجوزي مثل ذلك ونسب الأول للفراء وابن السائب الكلبي وابن قتيبة وزاد على الأقوال الثلاثة المتقدمة فتح بدر. انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

(٢) قاله مجاهد (تفسير مجاهد (٥٤٥)، واليزيدي (غريب القرآن وتفسيره (٣٠١) وعبارته: الفتح الحكم، والفتاح الحاكم والمعنى: أنهم كانوا يسألون العذاب. ومن هذا الفريق أبو عبيدة انظر مجاز القرآن (٢/ ١٤٩).

ومن هذا الفريق الطبري، وابن كثير، وابن الجوزي، وابن عطية (انظر الهوامش التالية).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٣).

وقريبًا من قول الطبري هذا قول أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن[١]. وقول ابن عطية في التفسير[٢]، وهاجم ابن كثير بشدة من قال إن معنى الفتح في هاتين الآيتين هو فتح مكة فقال: «ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قَبِلَ إسلامهم... وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل»[٣].

أما الفريق الذي ذهب إلى أن، دلالة الفتح في الآيات هي النصر ويوم الفتح هو فتح مكة[٤]. فقدم عدة حجج لتأييد ما ذهب إليه وهي:

١ـ ذكر أهل السير أن خالدًا دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فلقيه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: «ألم أنه عن القتال؟!» فقيل: إن خالدًا قوتل فقاتل[٥].

٢ـ فسروا الإيمان الموجود في الآيات على أنه ليس الإيمان الذي هو ضد الكفر بل

---

(١) يقول: «ويروى أن المؤمنين قالوا سبحكم الله ـ جل وعز ـ بيننا يوم القيامة فيثيب الله المحسن ويعاقب المسيء، فقال الكفار على التهزي متى هذا الفتح؟! أي هذا الحكم (إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩).

(٢) وعبارته: «قالت فرقة يعني بالفتح فتح مكة، وهو ضعيف يرده الإخبار بأن الكفرة لا ينفعهم الإيمان» انظر المحرر الوجيز (١٣/ ٤٣).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٤).

(٤) من هذا الفريق الفراء (انظر معاني القرآن (١/ ٣٣٣) وابن السائب الكلبي منقول عنه في كثير من التفاسير انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

وهو قول ابن قتيبة. انظر تفسير غريب القرآن (٣٤٧) وروى في كثير من كتب التفسير بصيغة التجهيل وقالت فرقة وقال ناس ونحو ذلك.

(٥) ذكر هذه الحجة الفراء وأشار إليها ابن قتيبة وفصَّلها والحجة التالية لها ذكرها ابن الجوزي وإن اعتذر عنها بقوله: «وهذا القول الذي دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بينا وجهه لأنه قد قيل» انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

وانظر فيما ذكر أصحاب السير سيرة ابن هشام (٤/ ١٢٤٩) وما بعدها.

وانظر الرحيق المختوم (٤٥٣ ـ ٤٥٤) وليس بينها وبين ما ذكر اللغويون كبير خلاف.

معناه الأمان واستشهدوا بقول «الزجاج» في معنى الإيمان يقال آمنت فلانا إيمانا، فعلى هذا يكون معنى (لا ينفع الذي كفروا إيمانهم) لا يدفع هذا الأمان عنهم عذاب الله. وهم يشيرون إلى قول النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[1].

٣ـ قال الزمخشري: «فمن فسره ـ الفتح ـ بيوم فتح مكة أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت: المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق[2]. ونلحظ على حجة هذا الفريق ـ الثاني ـ ملحوظتين:

١ـ أنه فسر الإيمان في الآية بالأمان وتأول في ذلك لأن الآيات تدور بين فريقين مؤمنين وكافرين ولم ترد في السورة إشارة لغزوة أو معركة أو صلح وإذا أعطى الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أمانًا لأحد فلا بد أن ينفذ وقد أعطى الغالبية العظمى من المشركين هذا الأمان العام في فتح مكة فكيف لا ينفعهم أمان رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ!

٢ـ من قال أن المراد ـ بمن لا ينفعهم الإيمان يوم الفتح القتلى من المشركين لا ينفع إيمانهم حال قتلهم ـ من قال ذلك لا بد أن يجعل هذه الآيات خاصة بفريق القتلى، ولا توجد قرينة للتخصيص. ولذلك ترجح لدينا أن دلالة الفتح في هذه الآيات تعني الحكم والقضاء واليوم الموصوف بيوم الفتح هو يوم القيامة وإضافة لما قدمه الإمام الطبري وابن كثير وغيره من الأئمة في ترجيح هذا المعنى، نرى أن هناك بعض الشواهد الأخرى الدالة على ذلك وهي:

١ـ وردت الآيات في سياق سورة مكية تتحدث منذ مطلعها عن يوم القيامة، وصح

---

(١) استشهد المحتجون للمعنى الثاني بقول الزجاج في دلالة كلمة الإيمان في الآية أما رأي الزجاج في دلالة الفتح فقال في بيانه: جاء في التفسير أن أصحاب النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالوا: يوشك أن يكون لنا يوم نستريح فيه فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ فأعلم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن الراحة في الجنة في الآخرة وجاء أيضًا في الفتح: ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (أي أنهم ما داموا في الدنيا فالتوبة معروضة لهم ولا توبة لهم في الآخرة). انظر معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢١١).

(٢) انظر زاد المسير (٦/ ٣٤٦).

عن النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أنه كان يقرأ هذه السورة ليلة الجمعة لما اشتملت عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار مما يكون في يوم الجمعة تذكيرًا بيوم القيامة(١).

٢ـ يوم القيامة موصوف في القرآن الكريم بأنه يوم الفصل ويوم الحكم ويوم القضاء، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه الإيمان ولا تصح فيه التوبة(٢). وهذا هو ما أشارت إليه الآيات في صفة يوم الفتح(٣).

٣ـ أن ما قيل عن عدم مطابقة الجواب للسؤال في الآيات حيث سألوا عن وقت الفتح (متى هذا الفتح) فلم يكن في الإجابة بيان حقيقته وكيف ينتظرون يوم القيامة وهم ـ أي الكافرون ـ لا يؤمنون به؟ قد أجاب عنه العلماء بما لا يدع مجالا للظن، قال أبو بكر الرازي: «لما كان سؤالهم سؤال تكذيب واستهزاء بيوم القيامة لا سؤال استفهام ـ أي استفهام إنكاري ـ أجيبوا بالتهديد المطابق للتكذيب والاستهزاء لا ببيان حقيقة الوقت»(٤).

وما قاله الرازي قاله علماء البلاغة وعدوه من ضروب البديع فأطلق عليه «السكاكي» الأسلوب الحكيم(٥). وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على

---

(١) انظر الكشاف: (٣/ ٢٢٤).

(٢) فقه السنة ١/ ١١٣، و١١٤ .

(٣) وردت في ذلك عشرات الآيات القرآنية ويمكن أن نستشهد ببعض منها في مثل سورة البقرة (٢/ ١١٣)، وآل عمران (٣/ ٢٥)، والسجدة (٣٢/ ٢٥)، والدخان (٤٤/ ٤٢)، وغافر (٤٠/ ٥٢)، والجاثية (٤٥/ ١٧)، وسورة الروم (٣٠/ ٥٥ ـ ٥٧) وأورد الإمام ابن الجوزي في سبب نزول سورة الواقعة: بأنه لما قال المشركون متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟! أنزله قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] زاد المسير: (٨/ ١٣٠) وجاءت الأحاديث النبوية بذلك قال ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا». انظر الحديث بسنده وشرحه في صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر مسائل الرازي وأجوبتها (٢٧٧).

(٥) عد الخطيب القزويني هذا الأسلوب العربي من الخروج على مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية في إطار علم البديع وسماه السكاكي «الأسلوب الحكيم»، بينما كان يسميه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني «مغالطة» ومن أمثلته في الشعر: (الطويل)

=

خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له.

وأجاب أبو جعفر النحاس على قولهم: كيف ينتظرون يوم القيامة وهم لا يؤمنون به؟ فقال: إما أن يكون المعنى أنهم ينتظرون الموت وهو من أسباب القيامة فيكون مجازًا وإما أن يكون فريق منهم يوقن بالقيامة وفريق آخر يشك فيكون خطابًا للصنفين[1].

وبهذا نكون قد وقفنا على الإشكال الدلالي في الآيات الكريمة والذي مصدره تعدد دلالة لفظة الفتح. وغياب القرينة اللفظية أو المحدد الظرفي (بين).

* * *

= أتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
قلت ـ كأني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

انظر في ذلك النقد العربي(٩٢ ـ ٩٨).

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: (٣/ ٣٠٠).

الفصل الثالث
ظاهرة التغير الدلالي

- مفهوم التغير الدلالي.
- الأسباب التاريخية والاجتماعية.
- الأسباب اللغوية.
- التغير الدلالي والإيحاء.

التغير الدلالي: semantic change

تغير المعنى ليس إلا جانبًا من جوانب التطور اللغوي، ولا يمكن فهمه فهما تامًا إلا إذا نظر إليه من هذه الزاوية الواسعة، فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال[١].

والمستوى الدلالي هو أكثر المستويات اللغوية عرضة للتغير وذلك لارتباطه بالعوامل الاجتماعية والتاريخية التي من طبيعتها التحول والتغير وهو يحدث بغير وعي غالبًا[٢].

وقد تحدَّث علماء الدلالة عن أسباب التغير الدلالي ومظاهره وبيّنوا ـ بعد استقراء الظاهرة في لغات مختلفة ـ أن أسبابه ترجع إلى عوامل ثلاث وهي إما لغوية أو تاريخية أو اجتماعية[٣]. وحصروا مظاهره أيضًا في ثلاثةِ حدودٍ منطقية وهي توسيعُ المعنى، وتضييقُه، وانتقالُ الدلالة[٤]. وقد تحدثنا عن بعض هذه الأسباب والمظاهر في المبحثين

(١) دور الكلمة في اللغة ص١٧٠ .

(٢) انظر التطور اللغوي. المرجع المذكور (١٥، و١٦، و١٨٩) وما بعدها .

(٣) انظر دور الكلمة في اللغة (١٧١ ـ ١٧٤). ما ذكره العلماء عن ظهور الحاجة والتطور الاجتماعي والاستعمال اللغوي والمشاعر العاطفية والنفسية والانحراف اللغوي والانتقال المجازي. يرجع إلى هذه الأسباب العامة. انظر في ذلك علم الدلالة (٢٣٧ ـ ٢٤٢) ودلالة الألفاظ (١٣٤ ـ ١٥١).

(٤) انظر دور الكلمة في اللغة (١٨٠، و١٨١) وانظر كذلك في تفصيل هذه العوامل دلالة الألفاظ (١٥٢ ـ ١٦٧)، ودلالة الألفاظ (٢٣٤ ـ ٢٥٠)، وعلم اللغة بين القديم والحديث (٢٦٠ ـ ٢٦٢).

التاريخي والدلالي، أما هذا الفصل فنحدد مظاهر التغير الدلالي وأسبابه من خلال استقراء رحلة الفتح عبر الزمن بكل تغيراته بصورة مجملة، وبيان قضية التغير والاستقراء في الدلالة.

١. أسباب تاريخية واجتماعية

الفتاح/ الفاتح/ الفتح.

توصلنا من خلال دراسة النقوش السامية لمادة الفتح، أن الدلالة الأولى لهذه المادة اللغوية كانت تدور حول عدة معانٍ حسيَّة مثل الشق والحفر، أو إحداث فجوة وفتحة في جسم صلب[١]. ثم ارتبطت بالأشياء المغلقة بعد ذلك كالقبر، والبيت، ونحوها[٢]. فأصبح معنى الفتح فيها هو إزالة الإغلاق وهو المعنى الذي استقر بعد ذلك عند الساميين كدلالة أصلية لهذه اللفظة، ولم يمنع ذلك وجود الدلالة الأولى[٣]. ووجود التطور عنها فنجد في العبرية مثلا أن פִּתַּח =piṯṯaḥ التي معناها نحت أو نقش قد تطور عنها פַּתָּח = paṯṯāḥ بمعنى نحات أو نقاش أو פִּתַּח =piṯṯaḥ بمعنى حمَّض فلمًا فوتوغرافيًا في العبرية الحديثة[٤].

وحدث تطور مماثل في المصرية القديمة من معنى النحت والشق حيث ارتبطت لفظة الفتح بعبادات طقوسية يرددها الكاهن عند الاحتفال بعملية إتمام صناعة التمثال فيفتح الكاهن عينه ليرى شمس رع، ويفتح أذنه ليسمع ثناء الناس عليه، ومن خلال هذه المناسبة الفرعونية ظهر اسم معبود الفراعنة «بتاح»[٥]. وأخذ دلالته في الثقافة المصرية القديمة وفي الثقافة القبطية بعد ذلك ـ من خلال هذه المناسبة المصرية القديمة فبتاح هو الذي يبارك التماثيل وهو الذي يعطي التمثال قداسته ودخل بذلك قاموس الآلهة المصرية القديمة وارتفع إلى مصاف آلهة المصريين القدماء.

---

(١) انظر الفصل الخاص بدراسة النقوش.

(٢) انظر المبحث التاريخي المقارن.

(٣) لاحظ ابن عطية ذلك في معنى الفتح حيث قال: «والفتح في اللغة ينقسم أقسامًا تجمعها بالمعنى التوسعة وإزالة الإبهام». وانظر المحرر الوجيز (١/ ٢٦٩).

(٤) انظر قاموس قوجمان (٧٤٨).

(٥) انظر تفاصيل ذلك بالمبحث التاريخي والمقارن.

ولا شك أن تطور دلالة الفتح من معنى النحت والشق والحفر إلى نحات ونقاش في العبرية وإلى معبود في المصرية يناسب البيئة التي تحدث فيها ذلك التطور الدلالي في اللغتين.

ونعود إلى معنى إزالة الإغلاق والذي تطور في العربية الجنوبية تطورًا يناسب المجتمع الحضاري في بلاد اليمن حيث ارتبطت لفظة الفتح بنشر خطاب يحمل قانونا ينظم العلاقات الاجتماعية، وتولى أمر نشر هذا الخطاب وتنفيذ ما فيه شخص له مكانة اجتماعية عالية وأطلق عليه الفاتح أو الفتاح وهو القائم بأمر الفُتاحة أي الحكومة والقضاء[١].

وباستمرار قيامه بالفتح في المنازعات تُنُوسِيَتْ المناسبة التاريخية لبعد الزمن وبقى شاهد الحال دليلًا عليها[٢].وظهرت دلالة جديدة للفتح هي الحكم والقضاء فالفاتح والفتاح هو القاضي والحاكم[٣]. والفتح والفُتاحة الحكومة والقضاء والمفاتحة والتفاتح هو التقاضي ويوم الفتح هو يوم القضاء وبعد استعارة اللغة الفصحى لهذه الدلالة اليمنية، استخدمها القرآن الكريم، وارتقى بها من الدلالة على إنسان يقضي ويحكم بين الناس في التعامل الاجتماعي - إلى صفة من صفات الله الحسنى واسم من أسمائه العليا، فنقلها بذلك من الدلالة الحسية المادية إلى دلالة مجردة تجريدًا ساميًا تتناسب مع ما وصف الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم من صفات الكمال والجلال حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو منحنىً من التجريد الفكري لم يكن موجودًا عند العرب[٤]. لقد رفع القرآن الكريم لفظ (الفتاح) من آفاق محدودة إلى آفاق مطلقة من التجريد والسمو،

---

(١) انظر المبحث التاريخي المقارن.

(٢) من الشواهد على ذلك أن دلالة فتح خطاب القضاء والحكم فيه ظلت مستعملة حقبة كبيرة إلى جوار الدلالة المتطورة عنها نجد ذلك في أرجوزة الحج للرداعي اليمني يمدح بني عبد شمس يقول:

هم سبقوا الأقوام سبق الأمسى ... والسادة الشُمّ الكماةِ القعسِ

الفاتحي باب خطاب اللبس ... والمشترينَ الحمدَ لا بالبخسِ

(انظر صفة جزيرة العرب ٤٤٩).

وانظر دارستنا لهذه الدلالة عند شعراء الجنوب العربي في الباب الأول.

(٣) أهل اليمن يسمون القاضي الفتاح حتى هذه الأيام (من حديث الشيخ متولي الشعراوي).

(٤) انظر المولد (٢٥٢، و٢٥٤) والآية من سورة الشورى (٤٢/ ١١).

وقل مثل ذلك في دلالة (يوم الفتح) في القرآن الكريم الذي يراد به يوم فصل القضاء يوم القيامة. أما صيغة «الفاتح» التي تطورت عن فتح أسوار المدن والحصون في أوقات الحروب فلها سلوك دلالي آخر، فبعد أن كانت تعني الفارس كثير التجوال والرحلة عبر الصحراء[1]. أمدها القرآن الكريم بسياق دلالي جديد حيث أطلق على سعي النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه للتمكين لدين الله في الأرض فتحًا فأطلقها على غزوة بدر ولم تكن حصون ولا أسوار وأطلقها على صلح الحديبية ثم على فتح خيبر ومكة[2]. وفرق القرآن الكريم بين سعي المؤمنين والكافرين فسمى سعي المؤمنين فتحًا وسمى سعي الكافرين نصيبًا قال ـ تَعَالَى ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٤/ ١٤١] وكان لهذه التفرقةِ أثرُها بعد ذلك[3] ، فأطلق لقب «الفاتح» من الفتح الذي هو بمعنى الغلبة والتمكين وظهور الإسلام على الدين كله ـ أطلق على النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[4]. يقول الإمام ابن القيم[5]. في ذلك: «وأما الفاتح فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرْتجًا، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم، والقلوب الغُلف، وفتح اللهُ به أمصار الكافرين، وفتح الله به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع، والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار، والأمصار»[6].

(١) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الأدب الجاهلي في الباب الأول.

(٢) انظر الوحدة الدلالية الثانية في القرآن الكريم في الباب الثاني.

(٣) لاحظ ذلك كثير من العلماء والمفسرين يقول الزمخشري: «فإن قلت لم سُمِّي ظَفَرُ المؤمنينِ فتحًا، وظفرُ الكافرين نصيبًا قلت: تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظَ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء» الكشاف (١/ ٣٠٦) ووضح الرازي أن التفرقة بين ظفر المسلمين وظفر الكافرين تتمايز بمكانة المسلمين من دين الله والآخرة أما الكافرون فحظهم عرض الدنيا ومتاعها الزائل. انظر في ذلك مسائل الرازي (٥٩، ٦٠).

(٤) أورد هذا اللقب الإمام ابن القيم نصا على أسماء الرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حيث عقد فصلا في أسمائه ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ثم شرحها بعد ذلك.
انظر في أسماء النبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ. زاد المعاد (١/ ٢٠) وما بعدها.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) يتضح من شرح الإمام ابن القيم لدلالة «الفاتح» في أسمائه ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أن هذه المعاني متطورة عن معنى إزالة الإغلاق على سبيل الكناية والمجاز انظر المرجع السابق نفسه.

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن صيغة «الفتاح» لم تستخدم في المعاني السابقة وذلك بعد رقيها الكبير في سلم التعظيم والإجلال بالنظر إلى كونها اسما من أسماء الله الحسنى، فقد خصصت دلالتها بلفظ الجلالة أو ما يمكن أن نسميه عرفية شرعية[1]، وخصصت دلالة الفاتح بمعنى المجاهد المنصور بالنبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وهذا يفسر لنا السر في تلقب عظماء ملوك وسلاطين المسلمين بعد ذلك زَمَنَ دولةِ الإسلام بلقب «الفاتح» دون لقب «الفتَّاح»[2]. فالرسول ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قدوة المجاهدين الفاتحين، وبالتالي حدث تمايز دلالي بين صيغة «الفتاح» و«الفاتح» على مستوى الاستخدام اللغوي بعد ذلك[3]، فقد بيّن لنا القلقشندي في صبح الأعشى[4]. شيوع لقب الفاتح في العصر المملوكي بقوله: «الفاتح: فاعل من الفتح بمعنى النصر، والمراد فتح الأمصار

---

(١) بين لنا الأصوليون هذا المنحى من التطور الدلالي «تصرف الشرع في الشروط التي تجعل اللفظة مناسبة للدلالة الجديدة» وهو هنا نقل دلالة الفتاح من كونها صفة لبشر إلى كونها صفة لرب البشر واستعملها عن طريق التجوز بتقييدها بشروط معينة وكثر دورانها على ألسنة أهل الشرع فاكتسبت عرفية شرعية».

وقال الغزالي معقبًا على هذه القضية: «والمختار عندنا أنه لا سبيل إلى إنكار تصرف الشرع في هذه الأسامي، ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولةً عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم، ولكن عرف اللغة تصرف في الأساس فتصرف الشرع في الحج والصوم إذ للشرع عرف في الاستعمال كما للعرب».

انظر التصور اللغوي عند الأصوليين ٧٨، ٧٨).

(٢) ورد لفظ الفاتح والفتاح في القراءات المشهورة والشاذة وصفا لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بدرجة متساوية، أما وروده في القراءة السبعية ففي قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٨٩] وفي الشاذة {وهو الفاتح العليم} انظر مختصر شواذ القراءات لابن خالويه (١٢).

(٣) لاحظ العلماء أن التطور من الاتساع إلى التضييق هو التطور الطبيعي لتاريخ اللغة وهذا ما ذهب إليه الأصوليون في تحديد الدلالة، يظهر ذلك من قولهم المشهور: «ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص، التصور اللغوي (٩٦) وهذا ما حدث للفظه «الفتاح» التي خصصت بلفظ الجلالة بعد نزول القرآن الكريم على العكس من كلمة الفاتح التي رغب كثير من الملوك في التلقب بها والتشبه بصاحبها بينما لم يسمح العرف يفعل ذلك مع صفة الفتاح.

(٤) صبح الأعشى (٦/ ٢٢).

وتملكها، وكان يطلق على ملوك المغرب في عصر المماليك» ومنها «فاتح الأقطار»[١]. و«فاتح الحصون والقلاع والأمصار»[٢]. ولقب «فتح الدولة والدين» الذي أطلق على بعض سلاطين بنجال[٣]، وقد انتشر التلقب بصفة الفاتح أو أبو الفتح على امتداد رقعة العالم الإسلامي[٤].

وأشهر من أطلق عليهم لقب «الفاتح» ـ أسوة بالنبي ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وأصحابه ـ هو السلطان صلاح الدين الأيوبي «فاتح الطراز الأخضر من بني الأصفر»[٥]. كما أطلق على السلطان «محمد الفاتح» فاتح القسطنطينية في عهد الدولة العثمانية وقد لقب في اللغة التركية بـ«فاتح الأبواب» وأصبح هذا اللقب الأخير لقبًا مستقرًا في الدولة العثمانية يلقب به من يدير شئون الخلافة وذلك استبشارًا بما حققه السلطان محمد الفاتح[٦].

وقد اختفى لقب «الفاتح» من سجل الحكام المسلمين في عصور انكماش حركة الفتح الإسلامي وحلت ألقاب تتناسب وموقف الدفاع مثل «غياث الإسلام والمسلمين»[٧]. و«كهف الأمة»[٨]. و«قاتل الكفرة والمشركين»[٩]. وأمعن لقب الفاتح في الاختفاء في عصور التدهور والانحطاط السياسي والعسكري وأصبح لقبًا تاريخيًا في ذاكرة الأمة.

---

(١) المرجع السابق: ٦/ ٦٣).

(٢) أطلق على الظاهر بيبرس في وقفية بتاريخ ٦٦٦هـ في مسجد خالد في حمص وهو يشير إلى إجلائه الصليبيين عن حصونهم، والحشيشية عن قلاعهم وفتحه بلاد الأرمن وسلاجقة الروم.
انظر الألقاب الإسلامية (١١٥).

(٣) المرجع السابق: ٤١٦).

(٤) انتشر مصطلح (فاتح شدن) في اللغات الفارسية والكردية والأوردية وكذلك في لقب (أبو الفتح بهلوان جهان) في حقبة الحروب الصليبية وانتصارات المسلمين المتتابعة.
انظر المرجع السابق (٢٢٧، و٢٢٨) والمعجم الذهبي (٤٢٢).

(٥) أطلق على السلطان صلاح الدين الأيوبي في نص جنائزي بتاريخ شعبان ٦٢١هـ في ضريح الملك الظاهر في حلب. انظر الألقاب الإسلامية ٤١٥.

(٦) انظر أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية (٨١).

(٧) الألقاب الإسلامية (٤١٤).

(٨) المرجع السابق: (٤٤٠).

(٩) المرجع السابق: (٤٢٣، ٤٢٤).

وقد اختفى لقب «الفاتح» و«الفتح» الذي هو بمعنى النصر والظفر في وجدان المسلمين بظلال وإيحاءات دلالية خاصة جعلت منه لقبًا محببًا للنفوس فلا يطلق إلا على الفتوح الإسلامية والفاتحين المسلمين، أما ما يحققه الأعداد من انتصار علينا فإننا نُطَلق عليه غزوًا أو احتلالًا[١]. وما ذلك إلا لما أحاط بلفظة الفتح في ظلال دلالية جعلت منها رمزًا لعزة المسلمين وقوتهم، مع أن الفتح والغزو لا يستقلان في أصل الدلالة[٢].

٢) أسباب لغوية:

من أبرز الأسباب اللغوية في التغير الدلالي هو ما أشرنا إليه في الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم وهو ما يعرف بعلاقة المصاحبة وقد تحدثنا في الوحدة المشار إليها عن حضور علاقة المصاحبة وكون ذلك جزءا من الأداء الدلالي أما في هذا الفصل فيكون الحديث منصبًا على التطور الدلالي حال حضور علاقة التصاحب وحال غيابها فقد تتجاور كلمتان لتأدية معنى معين ولكثرة ورودهما تحمل إحدى الكلمتين فقط معنى الكلمتين وهما في حالة تصاحب وحضور وسنتحدث هنا عن نماذج من التطور الدلالي في وجود علاقة المصاحبة ونماذج أخرى تغيب فيها هذه العلاقة ظاهريًا مع وجود آثارها الدلالية وهذه بعض النماذج:

١. فتح + الشفتين (الفم):

سلكت هذه العلاقة طريقًا خاصًا في التطور للغة العبرية يختلف عن طريقها في اللغة العربية وأكملت مسيرتها التاريخية في المجال الدلالي العبري فتعبير مثل (pithou pe = piṯēn pē) بمعنى فتح الشفتين وهو كناية عن مجرد الحديث والكلام قد

---

(١) من ذلك أني عرضت عبارة «إسرائيل ولفنسون» في كتابه تاريخ اللغات السامية «الفتح الإسرائيلي لفلسطين». على مجموعات مختلفة من المثقفين فوجدت نفورًا واستهجانًا لهذا التعبير ومع ذلك نجد أن بعض العلماء والمفكرين المسلمين يستخدمون لفظة الفتح في معنى القهر والغلبة فيطلقونها على كل من يتحقق له ذلك. نجد ذلك عند الأمير شكيب أرسلان عندما يصف نابليون والإسكندر الأكبر بالفاتح العظيم في ص (١٥، و١٠٨) وفعل ذلك الدكتور علي عبدالحليم محمود عالمية الدعوة (٢/ ٣٥٩) والأستاذ مصطفى أمين في وصفه لجيش الاحتلال الفرنسي والفرنسيين للجزائر بالفاتحين في عموده فكرة بأخبار اليوم ٣٠/ ١٢/ ١٩٩١ وغير هؤلاء كثيرون...

(٢) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الأدب الجاهلي بالمبحث التاريخي.

تطور في العبرية إلى معان مثل الفصاحة وطلاقة اللسان والذريعة والحجة(١).

وتلك الدلالات المتطورة عن المصاحبة المشار إليها هي التي تداولها Pitḥen pē اليهود فيما بينهم موصين بعضُهم بعضًا بكتمان علمهم ببعثة النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كي لا يعطوا المسلمين حجة عليهم وذريعة للإيمان به - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -(٢). قال - تَعَالَى -: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٧٦].

وقد وجدت المصاحبة بين الفتح والفم في اللغة العربية ولكنها سلكت طريقًا آخر في تطورها الدلالي فهي من المجال الدلالي الخاص بالإنسان وقد نقلت إلى المجال الدلالي الخاص بالحيوان على سبيل الكناية والمجاز وقد تم النقل لطرفي المصاحبة قال الشاعر(٣). واصفًا غناء حمامة:

عجبت لها أني يكون غناؤها ... فصيحا ولم تفتح لمنطقها فما

وقال آخر في وصف حيوان مفترس:(٤)

يَفْتَحُ للضَّغْمِ فَمًا لَهَمًّا ... عَنْ سُبُكٍ كَأَنَّ فيه السُّمًّا

ومثل قول أبي النجم:(٥)

لِلشَّق تَهوى جَوفُها مفتوحا ... تحكي الفصيلَ الهَادِلَ المقروحا

أي تهوى منفتحا جوفُها، مشبها انفتاح الجوف أو الضربة بانفتاح فمِ الفصيل.

واستخدمت كلمةُ اللُّهَا بديلا عن الفم في مصاحبة الفتح، وقد وردت كناية عن كثرة الثناء المترتب على كثرة العطاء قال الشاعر:(٦)

---

(١) انظر قاموس قوجمان (٧٤٩) وانظر سفر المزامير (١١٩/ ١٣٠) وسفر الأمثال (٨/ ٦) وسفر المزامير (٧٨/ ٢).

(٢) انظر تفسير الآية وبيان هذه القضية بالوحدة الدلالية الثانية في القرآن الكريم.

(٣) انظر الوحدة الدلالية الثانية في الدراسة المقابلة بالمبحث التاريخي.

(٤) انظر: كتاب الفرق لقطرب (٤٧) وكتابان في الفرق: الكتاب الأول (٢٥)، والثاني (١٥)، وكتاب الفرق والشاء للأصمعي (٣٤، و٥٥، و٥٦).

(٥) انظر كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (١/ ٥١٦، و١١٧).

(٦) كذا ورد بنظام الغريب (٧٤) ولم يبين الربعي أو محقق الكتاب نسبته إلى قائل.

لابـــنِ يَحْيَـــى مكـــارمٌ بَلَغَـــــتْ إلى الـــــسُّهَا

جَـــادَ شِـــعْرِي بِجُـــودِهِ واللُّهَـــا تَفْـــتَحُ اللُّهَـــا

ومع وجود هذه المعاني الكنائية في اللغة العربية إلا أن مصاحبة الفتح للفم لم تتطور إلى دلالة العلم والفصاحة أو البيان والحجة كما هو الحال في العبرية إلا بعد المناسبة التاريخية التي انتقلت من خلالها الدلالة إلى العربية فقد دخل هذا المعنى إلى اللغة العربية ـ كما أشرنا من قبل ـ في حكاية القرآن الكريم لقول اليهود، وباستخدام القرآن الكريم لهذه الدلالة ترسخت ظلالها في الاستخدام العربي بعد ذلك فأصبح معنى «فتح الله عليك»[1]. أو «فتح الله لك»[2]. علمك وهداك وأرشدك ومن هذا المعنى أخذت المؤلفات العربية التي تسمت بالفتح دلالتها الإيحائية مثل «فتح القدير» في التفسير و«فتح الباري» في الحديث الشريف، و«الفتح على أبي الفتح»[3]. في النقد و«الفتوحات المكية» في التصوف وعدد المؤلفات الإسلامية في ذلك كثير وقد غلب هذا المعنى على غيره من المعاني عند الصوفية في تفسيرهم لآيات الفتح كما سنرى في الدلالة الهامشية الخاصة عند الصوفية.

٢. تطور فتح إلى معنى بدأ:

تطور معنى فتح من إزالة الإغلاق إلى معنى بدأ في العربية والعبرية والآرامية وذلك للعلاقة المنطقية التي تربط بين نهاية الإغلاق وبداية الإزالة، وهو تطور لغوي، ففتحة

---

(١) انظر: الاقتباس من القرآن الكريم (٢/ ٩٥).

(٢) جاء في الحديث «وأن يفتح لهم الكتاب» أي يتيسر لهم علمه.

انظر الإتقان (٢/ ٥) وعلى لسان الأخطل (فتح ـ والصليب ـ لي القول) طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٨٧) وعلى لسان زوجة جرير الشاعر المعروف (حتى فتح له) والمعنى في العبارتين ألهم قول الشعر. المرجع السابق (٢/ ٤٣٧). وعلى لسان عبدالحميد الكاتب (حتى يفتح الله عليك) أن ييسر لك الأمر وفي رواية «حتى يفتح الله لك». انظر العقد الفريد: (١/ ٢١٠). وجاء معنى استفتح المصحف بمعنى استعلم حظّه لأحد خلفاء بني أمية. انظر خزانة الأدب (٢/ ٢٢٨).

(٣) الكتاب لمحمد بن أحمد بن فُورَّجة من نقاد القرن الرابع الهجري وهو بتحقيق عبدالكريم الدجيلي. بغداد ١٩٨٧م.

الباب هي أول ما يبدأ به الزائر[١]. وهكذا فاتحة كل شيء بدايته وأوله[٢]. «ففاتحة الكتاب» هو أول الكتاب في رسم المصاحف وأول التلاوة في الصلاة فموضعها من الكتابة والتلاوة يعطي معناها[٣].

وقد وجد هذا المعنى في الآرامية פְּתִי תָא =pěīṭhte بمعنى مقدمة أو تمهيد أو افتتاحية واقتبستها العبرية من الآرامية بهذا المعنى[٤].

٣. السيف المسلول والسيف المفتوح!

من خلال دراستنا لعلاقة المصاحبة في الوحدة الدلالية الأولى في القرآن الكريم تبين لنا أن مادة الفتح في مصاحبتها لكلمة متاع ـ والذي فيه وجه من وجوه الإغلاق كالشد والربط والتغطية[٥]. قد نقلت دلالة الفتح إلى معان مثل فك وحل وكشف الغطاء في اللغتين العربية والعبرية[٦] وهذا التطور يفسر لنا إطلاقَ لفظةِ פְּתִיחָה = pěṯiḥā على «السيف المسلول» في اللغة العبرية[٧].

فالمظنونُ أن اللفظة المصاحبةَ للفتح وهي الوعاء الذي يوضع فيه السيف قد حذفت لكثرة الاستخدام وبقيت لفظة الفتح تحمل دلالة التصاحب بمفردها، والقرنية العقلية تمنع أن يكون الفتح قد حدث للسيف بل لما يوضع فيه السيف.

وربما يفسر لنا هذا الاستنتاج مصدرَ اللحنِ المشهور لعبيدالله بن زياد[٨](٣٠ ـ ٦٧هـ)

---

(١) (فَتحِ بابِ) بمعنى بداية العمل في اللغة الفارسية وهي مستعارة من اللغة العربية. انظر أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية (٣٩).

(٢) فقه اللغة وسر العربية (٢٠) يُطلق لفظُ الفاتح في بعض البلاد العربية ويُراد به الأول فالفاتح من رمضان هو أول أيامه والفاتح من سبتمبر هو أول أيام الثورة الليبية.

(٣) انظر مجاز القرآن (١/ ٦) وتفسير الطبري (١/ ١٠٧)، وتفسير الماوردي (١/ ٤٥)، وإعراب ثلاثين سورة (١٨)، والمحرر الوجيز (١/ ٦١).

(٤) انظر قاموس قوجمان (٧٤٩، و٧٤٦).

(٥) انظر الوحدة الدلالية الأولى بالمبحث الدلالي. وانظر ما نقلناه عن ا بن عطية وفخر الدين الرازي في هذا الشأن والمراجع هناك.

(٦) انظر قاموس قوجمان (٦٤٨).

(٧) المرجع السابق نفسه (٧٤٩).

(٨) انظر في ذلك: خزانة الأدب (٢/ ١٤)، والمولد (٢٨٢)، والعربية ليوهان فك (٢٤).

عندما قال للجنود: «افتحوا سيوفكم» وهجاه يزيد بن مفرغ بقوله:

ويـوم فتحـتَ سـيفكَ مـن بعيـدٍ أضـعـت وكـلُّ أمـرك للـضياع

فقد بيّن يُوهان فك[1]. أن هذا اللحن يرجع إلى الأوساط اللغوية التي نشأ فيها عبيدالله بن زياد، حيث ظلت التعبيراتُ المتعارفةُ لدى السكانِ الأصليين، تمثل شبكة تحيط باللغة العربية، فالأنباط الذين كانوا ينطقون اللهجات الآرامية، وغيرُهم ممن احتك بهم العرب في ذلك القرن الذي عاش فيه عبيدالله بن زياد وغيره ـ كانوا من مصادر اللحن.

٣. الإيحاء والتغير الدلالي:

(دلالات خاصة لآيات الفتح عند الصوفية)

من صور التطور الدلالي ما نجده في مصطلحات الصوفية من دلالات خاصة لآيات الفتح عند الصوفية، ومعنى العلم والتوفيق الإلهي للوصول إليه والفيض والكشف عن الحقائق والأسرار هو أوضح دلالات الفتح عند الصوفية في معناه العام عندهم، إضافة إلى الدلالات الرمزية الخاصة بهم.

لقد أسقط الصوفية رؤيتهم الوجدانية والروحانية وأوهامهم أحيانًا على دلالة الآيات وتوسعوا في هذا المعنى الأساسي عندهم ـ وهو العلم[2]. ـ توسعا كبيرًا.

فالفتوح عند الصوفية أنواع:

فتوح عبارة في الظاهرة وفتوح حلاوة في الباطن وفتوح مكاشفة للحق[3].

---

(١) المرجع السابق: (٢٤ ـ ٢٦).

(٢) لو نظر نظرة سريعة لتفسير ـ أو بمعنى أصح إيحاءات الدلالة ـ آيات الفتح عند الصوفية لوجدناها منصبة على هذا المعنى.

انظر على سبيل المثال: تفسير ابن عربي (١/ ٦٦، ٢/ ٣٦٣ و٣٨٩ و٥٠٥ و٥٦٣ و٧٥٧) وتفسير التستري (١٣٦)، وتفسير غرائب القرآن (التعليقات الإشارية) (١/ ٣٧٣، و٩/ ١٣٧، و١٤/ ٢٣). وانظر مقدمة ديوان ابن الفارض (٢٥،٢٣،٢٢، ٢٦، ٤١).

(انظر دلالة فتح المذكورة في أقوال ابن الفارض وشيوخه وتلاميذه في الصفحات المشار إليها) وانظر ديوان ابن الفارض (١٢٨، و١٦١).

(٣) انظر المعجم الصوفي (٤٩٣، و٨٦٤) وملحق بتعريفات الجرجاني (١٥٧).

وقد أثرت نظرتهم الخاصة في معاني الفتح فنجد أن معنى الحكم والقضاء في دلالة «الفتاح» مهمل عند الصوفية لقد صرفوا دلالتها إلى معنى الفتح بالعلم والأسرار[1]. والنصر والرزق (وهو المعنى الشائع عند عامة المسلمين في هذه الأيام)[2]. ثم أدخلوا تلك الدلالة في مجالهم الإيحائي الخاص فاسم «عبدالفتاح» عند الصوفية يطلق على السالك الذي أعطاه الله أسرار المفاتيح على اختلاف أنواعها ففتح به الخصومات والمغالق والمعضلات والمضائق وأرسل به فتوحات الرحمة وما أمسك من النعمة)[3].

و«حضرة الفتح»[4]. ـ وهي خاصة باسم الفتاح ـ هي الزمن الذي يفتح الفتاح له بما شاء من أسرار يقول ابن عربي في هذه الحضرة.

حضرة الفتاح للفتح وما يعلم الشخص بما يفتح له

«والفتح القريب» الوارد في القرآن الكريم ليس هو فتح خيبر كما رأينا في التفسير بالمأثور، بل هو رمز لما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهذا هو رمز لمقام الرضا عند الصوفية[5].

و«الفتح المبين» الوارد في قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [6].

فهو دلالة على مقام الولاية، وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المفنية لصفات القلب وكمالاته[7].

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالي في دلالة «الفتاح» هو الذي بعنايته ينفتح كل مغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه، ويخرجها من أيدي أعدائه يقوله ـ تَعَالَى ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه يقول: «ومن بيده مفاتح الغيب والرزق فالأحرى أن يكون فاتحًا». المقصد الأسنى (٨٠). والغزالي بهذا الشرح يعرف مفهوم صفة الفتاح عند الصوفية.

(٢) يشيع على ألسنة العامة والخاصة عبارة «يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم» وهي: تشير إلى أن دلالة الفتاح تتجه إلى معنى من يفتح أبواب الرزق والعلم وهي عبارة تسربت من حياة الصوفية والروحية الخاصة إلى الحياة العامة.

(٣) اصطلاحات الصوفية ١٢٣.

(٤) انظر الفتوحات المكية (٤/ ٢٢٠، و٢٢١).

(٥) انظر تفسير ابن عربي (٢/ ٦٣٩).

(٦) الفتح: ٤٨/ ١.

(٧) اصطلاحات الصوفية (١٤٥).

وقوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٩] يوضح ابن عربي الدلالة ـ في إطارها الإيحائي لديه ـ في الآية ببيانه أن معنى الفتح هو حركة إلهية، هي حركة المفتاح عند الفتح، وهو حال تعلق التكوين بالأشياء ويقسم المفاتح إلى ثلاثة أقسام المفاتح الأول، والثواني، والثوالث، وهذا التقسيم يبينه على نظرتين فيهما تفاوت كبير، نظرة عرفانية والفتح فيها: إنساني علمي، ونظرة إيجادية يصور فيها ما يدعيه في ما يعرف بالتجليات(١).

أما قوله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١٠/ ١] فهو أعلى الفتوحات وأكملها عند الصوفية وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخَلْقِيَة(٢).

ويتبين لنا مما سبق أن الصوفية قد ولدوا دلالات جديدة مشبعة بإيحاءات خاصة بإطارهم الفكري والثقافي.

وقد حدد الفقهاء والعلماء أن هذه الإيحاءات لا تصلح أن تكون تفسيرًا للقرآن الكريم، إنما دلالة الألفاظ في القرآن الكريم مرتبطة بدلالتها اللغوية عند العرب زمن نزول القرآن الكريم وعرف الشرع في معانيها. ولذلك بينوا أن عرف الناس أو طائفة بعينها لدلالة تخالف الدلالة القرآنية لا يغير من العرف الشرعي حول الدلالة شيئا(٣).

ويمكن أن نسمي هذا النوع من التطور تطورًا عن طريق الإيحاء الدلالي.

* * *

---

(١) انظر الفتوحات المكية (٢/ ٥٠٥، و٥٠٨، و٥٥٦، و٣/ ١٥٣).

(٢) انظر اصطلاحات الصوفية (١٤٥) وتفسير ابن عربي (٢/ ٦٠١، و٦٣٩، و٨٦٥).

(٣) بتصرف عن أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة (١٥٥ ـ ١٥٧).

الخاتمة

١- ملخص النتائج.

٢- الملحقات الخاصة بالبحث.

٣- المصادر والمراجع.

* * *

الخاتمة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات الخاصة بالبحث ثم الملحقات.

(١) أهم النتائج:

أولا: النتائج العامة:

١- قدمت الدراسة نموذجًا جديدًا لتتبع تاريخ الدلالة، يقوم على أساس تحديد المنطلق أو المحور الأساسي، ثم البحث في أصولها الأولى، ومعالجة تطورها عن تلك الأصول.

٢- ربطت الدراسة بين النظرية والتطبيق في كل خطواتها. فنقلت الدرس الدلالي مباشرة إلى حيز التطبيق العلمي.

٣- وضعت الدراسة جهود علمائنا القدامى في إطار علم اللغة الحديث، سواء فيما يخص الأشباه والنظائر، أو المشترك اللفظي، أو المعجم، أو ما يخص علم التفسير، وكشفت عن قيمة هذه الجهود. وتراثها النظري والتطبيقي.

أما النتائج الخاصة بالأبواب والفصول فتتلخص فيما يأتي:

فيما يخص الدراسة التاريخية:

١- تمكنت الدراسة من رصد الأصول الدلالية لمادة الفتح في النقوش السامية، وقدمت نموذجًا تطبيقيًا لتوظيف دراسة النقوش في البحث اللغوي عامة والدرس الدلالي خاصة.

٢- توصلت الدراسة إلى المناسبة التاريخية التي تطور عنها معنى (فتح) إلى دلالة الحكم والقضاء وكشفت عن الخلفية الثقافية والاجتماعية لذلك التطور وبيئته، وقد ظل ذلك أمرًا مجهولاً أو غير بيِّن في المؤلفات اللغوية والتفسير على مر العصور.

٣- توصلت الدراسة إلى حل الإشكال واللبس البادي في دلالة (بتاح) على معبود مصري قديم، ودلالة (الفتاح) في العربية، ووضحت اختلاف المسيرة التاريخية للدلالتين المصرية القديمة والعربية الفصحى اختلافًا كليًا، وأثبتت الدراسة وجود الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية عن طريق الاستخدام اللغوي، كما فندت

الدراسة الآراء التي قالت بأن لفظ الفتاح ودلالته قد وقعت للعرب من المصرية القديمة.

٤- كشفت الدراسة عن أهم المصاحبات القديمة للفظة الفتح في اللغة العبرية، وبمقارنة ذلك بمثيلها في العربية وضعت الدراسة الأساس الدلالي الذي تولدت عنه الوحدات الدلالية بعد ذلك في اللغتين واللغات الأخرى ذات الارتباط.

٥- رصدت الدراسة خط سير الدلالة في الأدب الجاهلي اعتمادًا على نتائج الفصلين السابقين، وتمكنت من تحقيق نسبة بعض الوثائق والشواهد إلى قائليها، ومعرفة قبائلهم وبيئتهم اللغوية وصولا إلى مصادر الدلالة في اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم، وإيضاح العلاقات اللغوية بين قبائل العرب، وموقع ذلك من اللغة الفصحى، وقد حققت الدراسة في ذلك بعض النتائج التي أحسبها مفيدة، أشرت إليها في سياقها.

الدراسة الدلالية:

١- وظفت الدراسة عبارات علماء المشترك والغريب عن دلالات الفتح في قضية تعدد المعنى، واختبرت صحة تلك العبارات عن طريق مفهوم المصاحبة، وأوضحت الدراسة أن مؤلفات الأشباه والوجوه والنظائر ينقل بعضها عن بعض، وتتبع طريقة شبه واحدة في عرض الدلالة، أما مؤلفات غريب القرآن ومعاني القرآن فتابعت في أغلبها نظام أبي عبيدة في مجاز القرآن بخصوص دلالة الفتح.

٢- تمكنت الدراسة من استخدام معطيات علم الدلالة في التحليل الدلالي مثل استخدام المكي والمدني في تحصيل المعنى وتقسيم الوحدات الدلالية في القرآن الكريم، واستخدام مفهوم التضاد في التعريف اللغوي وتطبيق ذلك على المعجم العربي، واستخدام مفهوم المصاحبة اللغوية في قضية غموض المعنى (الآيات ظنية الدلالة)، واستخدام نظام الوحدة الدلالية في التفسير.

٣- رصدت الدراسة ظاهرة التغير الدلالي عبر الزمن، وأوضحت بعض مظاهرها وأسبابها، وتوصلت في ذلك إلى بعض النتائج والفروق الدلالية على مستوى الاستخدام عبر العصور التاريخية، وعلى مستوى تخصيص الدلالة وتعميمها، ومعرفة مسيرتها التاريخية.

بعض التوصيات:

١- توجيه العناية إلى دراسة تاريخ دلالة الألفاظ في اللغة العربية، على أن نبدأ بدراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهو أهم مصادر الثروة اللغوية العربية.

٢- توجيه العناية إلى دراسة الألفاظ المشكلة دلاليًّا حتى يمكن تحقيق هدفين:

الأول: الإسهام في التأريخ للدلالة وحياة الألفاظ في اللغة العربية وصولا لصناعة المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية.

الثاني: حل المشكلات الدلالية المتعلقة بتحصيل المعنى وتعدد الدلالة، والوقوف على مصادر اللحن، وضبط قضية التغير الدلالي، ومعرفة النتائج المترتبة عليها.

٣- إعادة قراءة جهود علمائنا القدامى في ضوء علم اللغة الحديث والإفادة من تلك الجهود في كل مستويات البحث اللغوي.

* * *

الملحقـــات

١- آيات الفتح.

٢- الحديث عن نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم.

٣- مادة فتح وسكر.

٤- النقوش السامية.

٥- بعض المصاحبات اللفظية في العهد القديم.

٦- نموذج لخط سير الدلالة.

* * *

ملحق رقم (١)

ملحق بآيات الفتح وبيان المكي والمدني:

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
١	﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	البقرة ٢/ ٧٦	-	مدنية(١)
٢	﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾	الأنعام٦/ ٤٤	مكية(٢)	-
٣	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	الأعراف ٧/ ٩٦	مكية(٣)	-
٤	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾	الحجر ١٥/ ١٤	مكية(٤)	-
٥	حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا	المؤمنون ٢٣/ ٧٧	مكية(٥)	-

---

(١) قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة، وبها آيات من آخر ما نزل على الإطلاق.
انظر: زاد المسير في علم التفسير ١/ ١٩، ٢٠، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤.

(٢) الأنعام في السور المكية التي نزلت جملة واحدة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة أشار إليها العلماء من أول قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾. انظر: الإتقان ١/ ٢٤، ٢٥، والبرهان ١/ ١٩٣، وقوله: (فتحنا) قرأه ابن عامر بالتشديد، وخففه باقي القراء. قال أبو طالب القيسي: (والتخفيف والتشديد لغتان غير أن التشديد فيه معنى التكثير والتكرير). والتخفيف والاختيار للإجماع عليه.

(٣) الأعراف سورة مكية. انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٣.

(٤) قال ابن الجوزي: سورة الحجر مكية كلها من غير خلاف نعلمه. زاد المسير ٤/ ٣٧٩.

(٥) سورة المؤمنون هي من أواخر ما نزل في العهد المكي. انظر: البرهان ١/ ١٩٤. وقد أجمع القراء السبعة على تخفيف لفظ (فَتَحْنَا) في هذه الآية والآية السابقة عليها، وعلل أبو طالب القيسي ذلك بوقوع اسم مفرد بعدها ﴿وَلَو فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾. ينظر: زاد المسير ٧/ ٤١٨.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
	هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾			
٦	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	الفتح ٤٨/ ١	-	مدنية(١)
٧	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾	القمر ٥٤/ ١١	مكية	-
٨	﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾	يوسف ١٢/ ٦٥	مكية	-
٩	﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾	سبأ ٣٤/ ٢٦	مكية	-
١٠	﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	فاطر ٣٥/ ٢	مكية(٢)	-
١١	﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	الأعراف ٧/ ٨٩	مكية	-
١٢	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء ٢٦/ ١١٧، ١١٨	مكية	-
١٣	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾	الأنبياء ٢١/ ٩٦	مكية	-

(١) سورة الفتح بإجماع العلماء مدنية نزلت بعد صلح الحديبية. انظر: زاد المسير ٧/ ٤١٨، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٣، ١٩٤، والرحيق المختوم ص٣٧٨ - ٣٨٩.

(٢) (القمر/ يوسف/ سبأ/ فاطر) نقل العلماء الإجماع على مكية هذه السور. ينظر: البرهان ١/ ١٩٣، وزاد المسير في علم التفسير ٦/ ٤٣١، ٤٧٢، ٧/ ٩٦.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
١٤	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	الزمر ٣٩/ ٧١	مكية	-
١٥	﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾	الزمر ٣٩/ ٧٣	مكية	-
١٦	﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾	النبأ ٧٨/ ١٩	مكية	-
١٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	الأعراف ٧/ ٤٠	مكية(١)	-
١٨	﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾	إبراهيم ١٤/ ١٥	مكية(٢)	-
١٩	﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الأنفال ٨/ ١٩	-	مدنية

(١) ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالياء مضمومة؛ لأن تأنيث الأبواب غير حقيقي، ولأنه فَرّق بين المؤنث وفعله، وكلتا العلتين تجيز التذكير، وقرأ الباقون بالتاء، على تأنيث لفظ الأبواب، كما قال: {}، وخفف الفعل أبو عمرو والكسائي وحمزة على معنى التخفيف يقع للمرة والأكثر وشدده عاصم وابن عامر وأهل الحرمين، واختار أبو طالب التشديد في هذه الآية. ينظر: الكشاف ١/ ٤٦٢.

(٢) سورة إبراهيم مكية سوى آيتين ذكر فيهما خلاف. ينظر: زاد المسير ٤/ ٣٤٣.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
٢٠	﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	سورة البقرة ٢/ ٨٩	-	مدنية
٢١	﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	النساء ٤/ ١٤١	-	مدنية
٢٢	﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾	المائدة ٥/ ٥٢	-	مدنية(١)
٢٣	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	السجدة ٣٢/ ٢٨	مكية	-
٢٤	﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾	السجدة ٣٢/ ٢٩، ٣٠	مكية	-
٢٥	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	الحديد ٥٧/ ١٠	-	مدنية
٢٦	﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الصف ٦١/ ١٣	-	مدنية(٢)

(١) سورة المائدة نزلت بين غزوتي بدر وأحد في أوائل العهد المدني. ينظر: الرحيق المختوم ص٢٦٦.

(٢) روى ابن يسار أنها مكية، والجمهور على أنها مدنية. ينظر: زاد المسير ٨/ ٢٤٩.

م	آيات الفتح في القرآن الكريم	السورة ورقم الآية	المكي	المدني
٢٧	﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾	النصر كلها	-	مدنية
٢٨	﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء ١١٦-١١٨	مكية	-
٢٩	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	الفتح ٤٨/ ١٨	-	مدنية
٣٠	﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	الفتح ٤٨/ ٧	-	مدنية
٣١	﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾	ص ٣٨/ ٥٠	مكية	-
٣٢	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	الأنعام ٦/ ٥٩	مكية	-
٣٣	﴿...أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾	النور ٢٤/ ٦١	-	مدنية
٣٤	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ...﴾	القصص ٢٨/ ٧٦	مكية	-

ملحق (٢) حديث القرآن الكريم عن نوح عليه السلام

المعنى	الآية الدالة عليه
١- رسالة نوح وشريعته حلقة في سلسلة متصلة من حديث النبوة، وهي أول حلقة مباركة يُقتدى بها.	﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء ٤/ ١٦٣]. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى ٤٢/ ١٣، والأحزاب ٣٣/ ٧].
٢- تزكية نوح - عليه السلام - ومن آمن معه.	﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣]. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾ [مريم ١٩/ ٥٨].
٣- ذم قوم نوح - عليه السلام - والتذكير في كل مناسبة بما حاق بهم.	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة ٩/ ٧٠] كذلك سور: إبراهيم ١٤/ ٩، والإسراء ١٧/ ١٧، والحج ٢٢/ ٤٢، والفرقان ٢٥/ ٢٧، وص ٣٨/ ١٢، وغافر ٤٠/ ٥، ٣١، وق ٥٠/ ١٢، والذاريات ٥١/ ٤٦، والنجم ٥٣/ ٥٢.

سورة يونس ١٠/٧١- ٧٣

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- موقف خاص من وسائل الدعوة التي اتبعها نوح -عليه السلام	﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (الآية: ٧١).
٢- من مبادئ دعوة الأنبياء	﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الآية ٧٢).
٣- تكذيب قومه - نجاة نوح - عليه السلام - ومن آمن – موضع النظر والاعتبار	﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (الآية ٧٣).

سورة هود ١١/٢٥ – ٤٨

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- مضمون رسالة نوح - عليه السلام -	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.
٢- حوار بين نوح - عليه السلام - وقومه - يكشف فيه نوح - عليه السلام - عن مبادئ دعوته، وهو - أي الحوار - وسيلة من وسائل الدعوة التي سلكها نوح - عليه السلام -	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ

	أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.
٣- وحي من الله ـ عز وجل ـ لنبيه بتوقف إيمان قومه عند هذا الحد	﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.
٤- أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه بصناعة سفينة النجاة، وامتثال النبي لأمر ربه ومواصلة تذكير قومه	﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٥ – حدث الطوفان	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.
٦ – سفينة النجاة تجري باسم الله وتعتصم برحمة الله	﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.
٧ – عاطفة نوح – عليه السلام – البشرية نحو ابنه، وتوجيه الله – سبحانه وتعالى – له في هذا الشأن	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.
٨ – تحية الله – سبحانه – لنبيه نوح – عليه السلام – مع بيان سنة الله تعالى التي لا تتخلف	﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

المعاني	الآيات الدالة عليها
١ – مبادئ دعوة نوح – عليه السلام – وتكذيب قومه	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.
٢ – محاولة قوم نوح – عليه السلام – لأن يتنازل عن أحد مبادئ الدعوة، وموقف نوح – عليه السلام – من تلك المحاولة	﴿قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾.
٣- دعاء نوح عليه السلام- وطلبه النجاة، والحكم بينه وبين قومه	﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.
٤ - نجاة نوح - عليه السلام - والمؤمنين - غرق وإهلاك الكافرين - موضع الاعتبار	﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

سورة الصافات: ٣٧/٧٥ — ٨٢

المعاني	الآيات الدالة عليها
١- نداء استغاثة من نوح - عليه السلام - لربه واستجابة سريعة مشكورة	﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾.
٢- تحية من عند الله، وتزكية بأعظم ما يوصف به البشر	﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.
٣- الإشارة إلى حدث الإغراق، وإبهام تسميتهم	﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

سورة القمر: ٥٤/٩ — ١٧

المعاني	الآيات الدالة عليها بالترتيب
١- تكذيب قوم نوح - عليه السلام - اتهامه بالجنون - محاولات منعه من الدعوة	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾.
٢- استغاثته وطلب النصرة	﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.
٣- الاستجابة الإلهية للدعاء	﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾.
٤- نجاة نوح - عليه السلام - وعناية الله بوسيلة النجاة	﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾.
٥- لفت الأنظار إلى موضع العبرة	﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾؟

المعاني	الآيات الدالة عليها بالترتيب
١- مضمون رسالة نوح -عليه السلام-	﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.
٢- وسائل الدعوة التي سلكها نوح -عليه السلام- في تبليغ رسالته	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.
٣- وصف مردود قومه من الدعوة وصاحبها	﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ... وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

الآيات الدالة عليها بالترتيب	المعاني
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾.	٤- حـــدث الإغراق
﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾.	٥- مواصلة نوح - عليه السلام - لرسالته

هذا الملحق الخاص بقراءة السياق القرآني لسيرة نوح عليه السلام وذلك لأننا في الدراسة المقارنة قمنا بقراءة السياق الذي وردت فيه القصة في العهد القديم والقرآن الكريم بصورة مختصرة جدًّا فالملحق هنا توضيح لتلك القراءة المقارنة .

❊ ❊ ❊

ملحق رقم (٣)

- أصل الدلالة في مادة (سكر).

- العلاقة بين مادتي (سكر) و(فتح).

يقول العكبري: (سكرت) يقرأ بالتشديد والضم، وهو منقول بالتضعيف، يقال: سكر بصره، وسكرته. ويقرأ بالتخفيف[١]، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه متعدٍّ مخففًا ومثقلاً.

والثاني: أنه مما لازمه ومتعديه بلفظ واحد، ويقرأ بفتح السين وكسر الكاف[٢]، أي سدت وغطيت كما يغطي السكر على العقل، وقيل: هو مطاوع: أسكرت الشيء فسكر، أي: انسد[٣] انتهى قول العكبري[٤].

ويتبين لنا من خلال وصف العكبري لهذه المادة أن بنيتها تأتي على عدة صور؛ وهي: (سَكِرَ، وسُكِرَ، وسُكِّرَ).

أما من حيث المعنى فقد ذكر المفسرون معاني متقاربة لهذه المادة؛ فقالوا: إن معناها سُدَّت أو عميت، أو أُخذت وغطيت وحُبست، أو أنها بمعنى سَكَنَتْ وتاهت وتحيرت وخُدعت وسُحرت[٥].

(١) في الكشف ٢/ ٣٠: {إنما سكرت} خففه ابن كثير وشدده الباقون، وهما لغتان. وانظر في ذلك أيضا المحتسب ٢/ ٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٨، وفتح الباري ٨/ ٢٣٠.

(٢) هي قراءة عن الإمام الزهري. انظر: فتح الباري ٨/ ٢٣١.

(٣) وقد رُوي عن مجاهد والضحاك أن معنى (سكر) في الآية هو (سد)، وقد اختار السجستاني والنيسابوري والسيوطي هذا القول. انظر في ذلك الدر المنثور ٤/ ٩٥، وغريب القرآن للسجستاني ص١٥، وغرائب القرآن ١٤/ ١١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥٤٧، وتفسير الماوردي ٣/ ١٥١، وتفسير مجاهد ص٤١٥.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧١٥، ٧٧٨.

(٥) وقد وضح لنا ابن عطية أن هذه التفاسير إنما هي تفسير بالمعنى، ولا يرتبط باللفظ نفسه، وهذه ملاحظة دقيقة تفرق بين عبارات المفسرين عن الدلالة وبين الدلالة الأصلية، يقول في ذلك: (وعبر بعض المفسرين عن هذه اللفظة بقوله: غشى على أبصارنا، وقال بعضهم: عميت أبصارنا، وهذه=

وإذا تتبعنا دلالة مادة (سكر) وعلاقتها بمادة (فتح) في اللغات السامية وجدنا وضوح علاقة التضاد... ففي العربية: سَكَرَ النهرَ يَسْكُرُه سَكْرًا: سدَّ فاه، وكل شق سُدّ فقد سَكِرِ والسِّكْرُ ما سَدَّ به[1].

وفي العبرية: סָגַר = sagar بمعنى أغلق الباب، أو حاصر.

وفي الآرامية: סְגַר = sgar بمعنى حجز skar بمعنى أغلق skqrq بمعنى الشيء الذي يسد النهر)[2].

وفي السريانية سجر = sgar بمعنى حجز أيضا.

والاسم منه في العبرية: סוּגַר= sugar بمعنى سجن، وهو في الحبشية sagarat بمعنى سجن أو حرس[3].

وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب (رحمه الله) إلى اسم آخر في الحبشية فيه دلالة الحجز والحبس، وهو كلمة Mašgart بمعنى الشبكة[4]، وقد وقع التبادل الدلالي في العربية بين (سكر) و(سجر) في مثل قولهم: (سَكَرْتُ الإناءَ وسَجَرْتُه[5]، وقد دلت مادة (سجر) في اللغة العربية على المنع والتقييد الحبس[6].

والإبدال بين الجيم والكاف ظاهرة عامة في الساميات[7]، والتفسر الصوتي لإبدال

= ونحوه تفسير بالمعنى لا يرتبط باللفظ). ينظر: المحرر الوجيز ١٠/ ١١٦.

(١) اللسان ٣/ ٢٠٤٨.

(٢) غرائب اللغة العربية ص١٨٨.

(٣) ينظر: ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ص٦٩.

(٤) ينظر: في قواعد الساميات ص٣١٨.

(٥) اللسان ٣/ ١٩٤٢.

(٦) من ذلك ما قيل في المراد بالبحر المسجور، قالوا: الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغرق أهلها. (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٠)، وقالوا: كلب مُسَوجرٌ في عنقه قلادة، وكتب الحجاج إل عامل له: ابعث إليَّ فلانًا مُسَمَّعًا مُسَوْجَرًا، أي: مقيدًا مغلولاً. اللسان ٣/ ١٩٤٣، وقد ورد التلازم بين الأغلال القيود من ناحية، السجر بمعنى الحبس والسجن من ناحية أخرى في قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر ٤٠/ ٧١، ٧٢].

(٧) مثل الإبدال في كلمة (كدس) العربية و גדש = gādas في العبرية وفي الآرامية גְדַשׁ = ydaš. ينظر: ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ص٤٥. وقد تبادل الصوتان كذلك في الآرامية =skar =

الجيم كافًا هو أن كلا الصوتين يخرجان من مخرج واحد، هو المخرج الطبقي velar كما يتفقان في بعض الصفات الصوتية كالشدة plosive والترقيق softening [1] .

وقد ورد التضاد بين مادة (سجر) و(فتح) في اللغة العربية، وذلك في حديث عمرو بن العاص: (فصل حتى يعدل الرمح ظله ثم أقصر، فإن جهنم تسجر وتفتح أبوابها)، وقد أراد الإبراد بالظهر[2] .

وبناء على ما تقدم فإن دلالة (سكر)[3] ، وفي الأصل هي أغلق، ثم إن هذا المعنى الأساسي قد ألقيت عليه ظلال دلالية مختلفة، فأطلق على مَنْ يتعاطي الخمر الذي يُسْكِر، أي: يَحبس ويغطي العقل، وأطلق في مجال السحر على أساس أن السحر يغطي على قدرة الحواس بطريق التخييل والمخادعة.

ونستطيع اختصار علاقة المصاحبة والتضاد بين مادتي (فتح) و(سكر) في الساميات على النحو التالي:

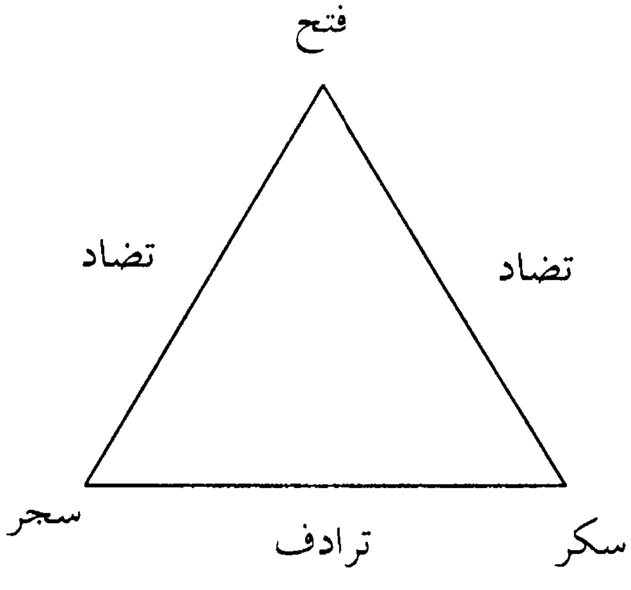

= sgar بمعنى أغلق وحجز. ينظر: غرائب اللغة ص ١٨٨.

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص٢٦.

(٢) ينظر: اللسان ٣/ ١٩٤٢. وقد تصاحبت مادة (فتح) و(سجر) في العبرية في كثير من النصوص العبرية. ينظر على سبيل المثال: سفر إشعياء ٤٥/ ١، و٦٠/ ١١، ٢٢/ ٢٢، حزقيال ٤٤/ ١.

(٣) ينظر: تحليل أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري لمادة (سكر) في العربية في كتابه الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٨٦، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٨٦.

ملحق النقوش (٤)

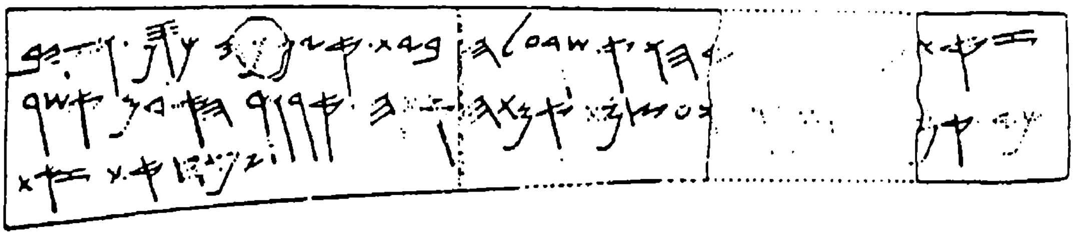

النقش الجنائزي لسلوان (حوالي ٧٠٠ ق.م)

نقلاً عن كتاب نافيه **Naveh** ص ٦٨

الكتاب من أقلام الساميين ص١٢٢

كتابة النقش بحروف عربية

١- ز أ ـ(ق ب ر ت . ش ب ن) ي هـ و . أ ش ر . ع ل . هـ ب ي ت . أ ي ن .
< ف > هـ . ك س ف . و ذ هـ ب .

٢- (ك ي) . أ م . (ع ص م ت و) و ع ص م <ت> هـ . أ ر و ر .
هـ أ د م . أ ش ر .

٣- ي ف ت ح . أ ت . ز أ ت .

ترجمة النقش إلى العربية :

٤- هذا (القبر الذي بنا) مشرف البيت (وزير القصر). لا يوجد (هنا) فضة وذهب.

٥- (فقط رفاته ورفات) أَمَتُهُ (زوجته من العبيد) معه . ملعون الإنسان الذي.

٦- يفتح ذلك (القبر).

نقش اشمنعزر ملك صيدا

(نقلاً عن تاريخ اللغات السامية) ص٦٥

(٤) بقم اش بنت قنمى ات كل مملكت وكل ادم ال يفتح ايت مشكب زو

....

(٧) كل ادم اشن يفتح علت مشكب زام اشن يساايت حلت مشكبى ام اش بعمسن

بـ بم.

....

(١٠) صتنم ايت مملكت أم أدم هااش يفتح علت مشكب زام اش ياايت.

ترجمة السطور إلى اللغة العربية

(٤) في المكان الذي عمرته استحلف كل ملك وكل إنسان ألا يفتح هذا المرقد.

(٧) كل إنسان يفتح هذا القبر أو ينقل خلة مضجعي أو يحلمني من هذا القبر.

(١٠) (يقطع) دابر ذلك الملك أو الإنسان الذي يفتح هذا المضجع.

نقش تبنت ملك صيدا

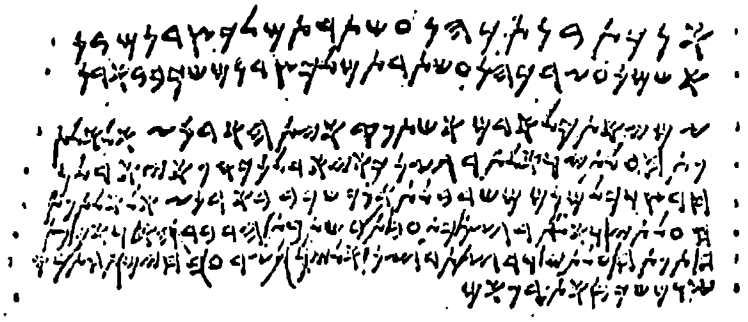

حل رموز نقش تبنت ملك صيدا بحروف عربية (نقلا عن تاريخ اللغات السامية)

(١) انخ تبنت كهن عثرت ملك صدنم بن

(٢) اشمعنزر كهن عشترت ملك صدنم شخب بارن

(٣) زمى ات كل ادم اش تفق ايت هارن زال ال ت

(٤) فتح علتى وال ترجزن كاى ادلن كف أى ادلن

(٥) حرص وكل منهم مشد بلت انخ شخب بارن زال ال تفت

(٦) ح علتى وال ترجزن كتعبت عشبرت هدبرها وام فت

(٧) ح تفتح علتى ورجز ترجزن ال ى (ك) ن دز لخ زرع بحيم تحت شم

(٨) ش ومشكب ات رفام

ترجمة نقش الملك تبنت Tabnith

(١) أنا تببت كهن عشترت (صم . وهي زوجة البعل) ملك صيدونم (صيدا) ابن

(٢) اشمنعزر كاهن عشترت ملك صيونيم اضطجع في هذا التابوت

(٣) لمنتى على كل من يخرج هذا النعش . لا . لا .

(٤) تفتح غرفتي (قبري) لا تقلقني فليس عندي فضة وليس عندي

(٥) ذهب أو نفائس لأضطجع في هذا التابوت . لا . لا . تفتح

(٦) غرفتي (قبري) لا تقلقني ولا تثر سخط عشترت فإذا

(٧) فتحت غرتي وأقلقتني فلن تكون لك ذرية بين الأحياء تحت الشمس

(٨) ولا مضجع بين الأموات

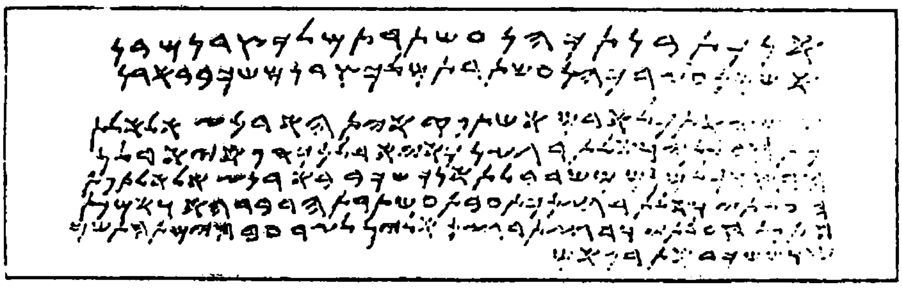

نقش تبنت Tabnit (حوالي ٣٠٠ ق.م) من النقوش الفينيقية المتأخرة في صيدا
(نقلاً عن كتاب تاريخ اللغات السامية)

نقل النص إلى حروف عربية:

١- أن ك . ت ب ن ت . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ب ن .

٢- أ ش م ن ع ز ر . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ش ك ب
. ب أ ر ن .

٣- ز . م ي . أ ت . ك . أ د م . أ ش . ت ف ق . أ ي ت . هـ أ ر ن . ز .
أ ل . أ ل . ت

٤- ف ت ح . ع ل ت ي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . أ ي . أ ر <د> . ل ن . ك س ف.
أ ى. أ ر <د> . ل ن

٥- ح ر ص . و ك ل . م ن م . م ش ر <د> . ب ل ت . أ ن ك . ش ك ب .
ب أ ر ن . ز . أ ل . ت ف ت

٦- ح . ع ل ت ي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . ت ع ب ت . ع ش ت ر ت .

٧- ح . ت ف ت ح . ع ل ت ي . و ر ج ز . ت ر ج ز ن . أ ل . ي [ك] ن . ل [ك].
ز ر ع . ب ح ي م . ت ح ت . ش م

٨- ش . و م ش ك ب أ ت . ر ف أ م[١]

ترجمة نقش تبنت إلى العربية:

١- أنا تبنت كاه عشترت ملك صيدا (الصيدونيين) ابن

٢- «إشْمُنْعَزْرْه كاهن عشترت ملك صيدا . اضطع في هذا التابوت.

٣- مهما كنت فلعنتي على كل إنسان يخرج هذا التابوت .. لا . لا .

٤- تفتحه علي وتزعجني، فلم يجمعوا لي فضة (فليس عند فضة) ولا .

٥- ذهبا ولا نفائس على الإطلاق لأضطجع في هذا التابوت .. لا .. لا تفتحه .

٦- عليّ ولا تزعجني ، تُثر سُخط عشترت (بهذا العمل) ، فإذا فتحته

٧- عليّ وأزعجتني، فلن تكون لك ذرية في الحياة تحت الشمس.

٨- ولا مضجع بين الأموات .

نقش مدائن صالح (٢٦٧م)

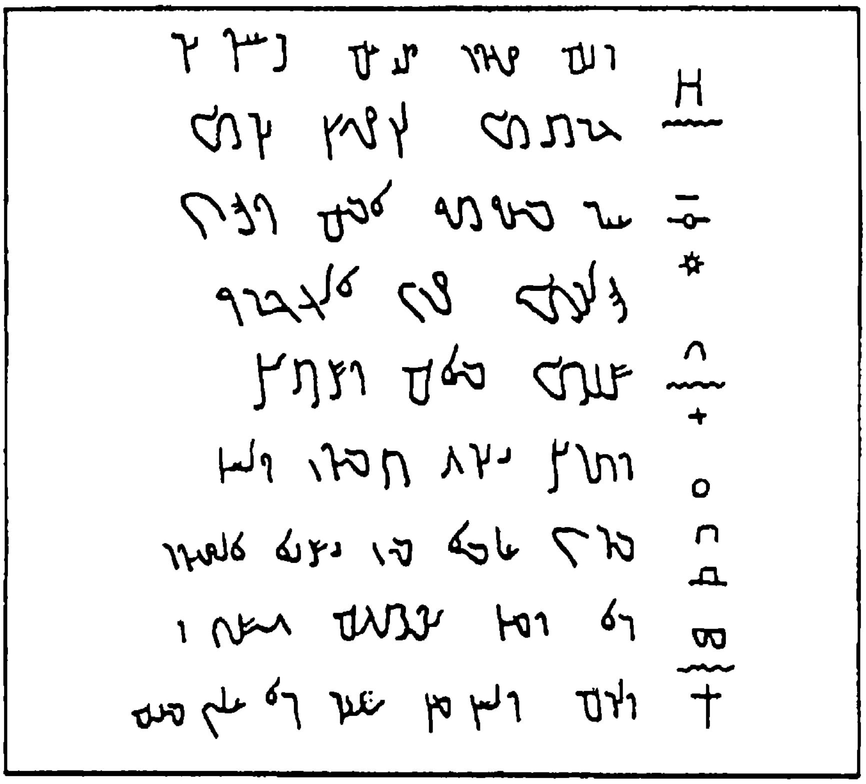

نقش مدائن صالح (٢٦٧م)

نقلاً عن (تاريخ اللغات السامية).

نقل النص إلى حروف عربية:

١- د ن هـ . ق ب و ر . ص ن ع هـ . ك ع ب و . ب ر

٢- ح ر ت ت . ل ل ق ص . ب ر ت

٣- ع ب د . م ن و ت و . أ م هـ . و هـ ي

٤- هـ ل ك ت . فـ ي . أ ل ح ج ر و

٥- س ن ت . م أ هـ . و س ت ي ن

٦- و ت ر ي ن . ب ي ر ح . ت م و ز . و ل ع ن

٧- م ر ي . ع ل م أ . م ن . ي ش ن أ . أ ل ق ب و ر

٨- د أ . و م ن . ي فـ ت ح هـ . ح ش ي . و

٩- و ل د هـ . و ل ع ن . م ن . ي ع ي ر . د أ . ع ل ي . م ن هـ[1].

ترجمة النقش إلى العربية:

١ - هذا قبر صنعه كعب ابن

٢ - الحارثة للقيض بنت

٣- عبد مناة أمه، وهي

٤- قد هلكت (ماتت) في الحِجْر

٥- في سنة مائة وستين

٦- واثنين في شهر تموز، ولعنة

٧- رب العالمين على كل من يغير هذا القبر

٨- وكل من يفتحه حاشا (سوى) و [٢]

٩- ولدها ويلعن كل من يُغيِّر ما عليه (من كتابة)

* * *

ملحق رقم (٥)

بعض المصاحبات اللفظية للفتح في العهد القديم:

(١) וַיִּפְתַּח נֹחַ אֶת־ חַלּוֹן הַתֵּבָה

وفتح نوح طاقة الفلك

(٢) וַיִּפְתְּחוּ אִישׁ אַמְתַּחְתּוֹ

وفتحوا كل واحد متاعه

(٣) וַתִּפְתַּח וַתִּרְאֵהוּ אֶת־ הַיֶּלֶד

(٤) ولما فتحته رأت الولد

(٥) וְדַלְתֵי שָׁמַיִם פָּתָח

وفتح أبواب السماء

(٦) פֶּתַח הָאֹהֶל مدخل الخيمة

(٧) מְפֻתָּחֹת פִּתּוּחֵי חוֹתָם

منوقشان نقش الخاتم

(٨) כְּקֶבֶר פָּתוּחַ كقبر مفتوح

* * *

---

(١) سفر التكوين ٨/ ٦ . (٢) سفر التكوين ٤٤/ ١١ . (٣) سفر الخروج ٢/ ٦ .

(٤) ولما فتحته – الضمير عائد على الصندوق أو السفط الذي وضع فيه الغلام. (٥) سفر المزامير ٧٨/ ٢٣ .

(٦) سفر الخروج ٣٩/ ٣٨ . (٧) سفر الخروج ٣٩/ ٦ . (٨) سفر ارمياء ٥/ ١٦ .

ملحق (٥) بالكتابة اللاتينية

1- Wayylftaḥ Noaḥ ’et ḥalon hatēb̲a

2- = Wayyi fteḥū ’iš amtaḥtō

3- = Watēftaḥ watlr. ’ ehū ’ et̲ hayyeled

4-

5- = Wedalte šānylm pātaḥ

6- = pet̲aḥ hā ’ ōhel

7- = Mĕfotāḥōt̲ bltūḥĪ ḥōt̲am

8- = kĕḳeb̲er. pāt̲ūaḥ

* * *

ملحق رقم (٦)

نموذج يوضح خط سير الدلالة وتطورها عن طريق المصاحبة

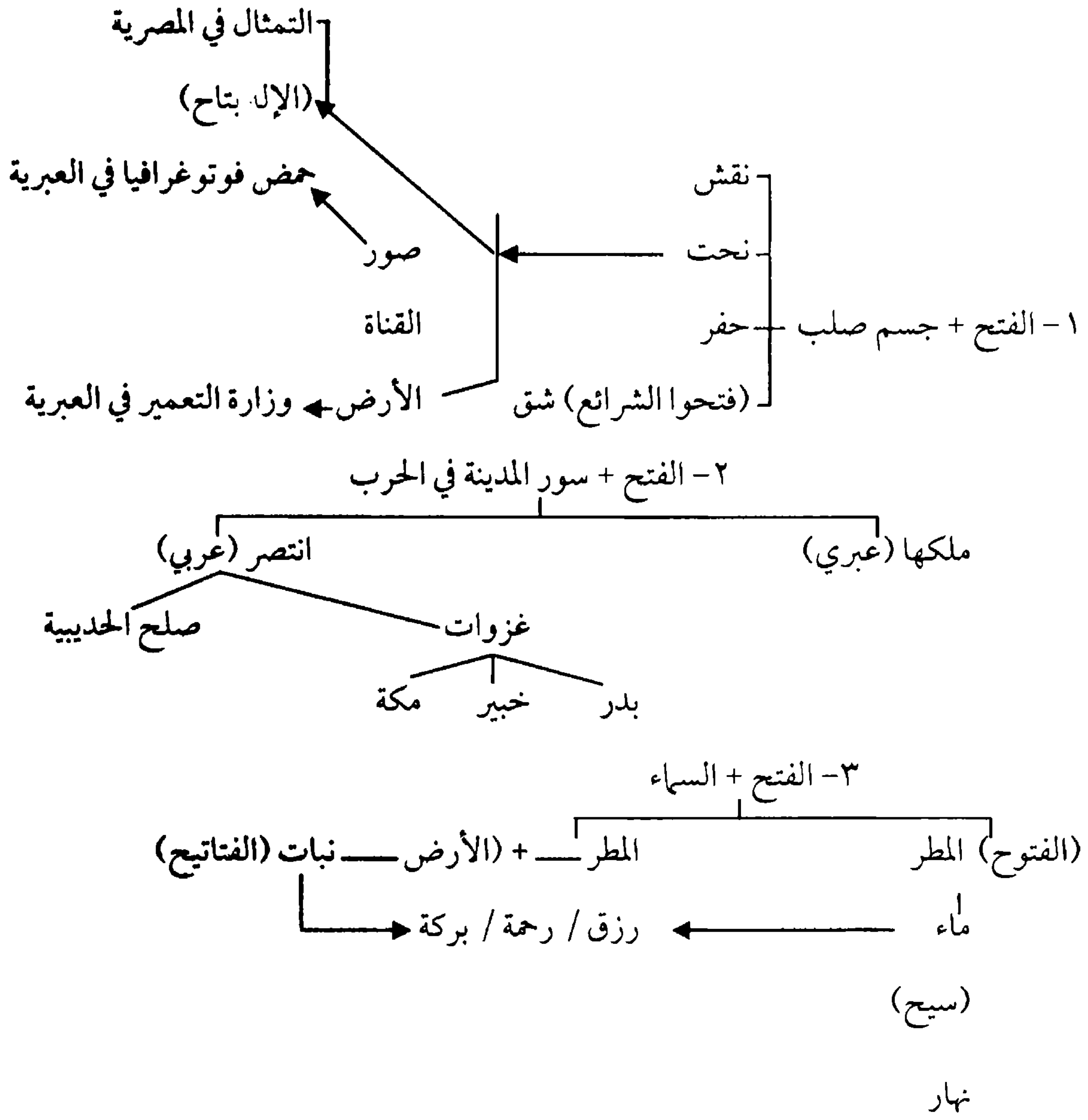

---

(١) وردت على لسان وفد ظبيان عام وفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم . قال أحدهم فتحوا الشرائع وبنوا المصانع) الشرائع: موارد الشرب. العقد الفريد ٢/ ٣٧ .

(٣) قال أبو النجم:

تزجي السحاب العهد والفتوحا

والفتوح مطر بعد مطر نظام غريب في اللغة ٢٢٨ .

أهم المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

١- آثار الأردن ، لانكستير هاردبج، تعريب سليمان موسى: الأردن ١٩٦٥م.

٢- آلهة مصر العربية، علي فهيم خشيم، ليبيا: ١٩٩٠م.

٣- الإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين السيوطي، دار عالم المعرفة (د.ت).

٤- أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية، حسين مجيب المصري: القاهرة ١٩٩١م.

٥- أدب الكتاب، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٣م.

٦- الأدب المقارن، للدكتور محمد غنيمي هلال، القاهرة، (د . ت).

٧- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي تحقيق رجب عثمان، رسالة دكتوراه ، عيش شمس ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٨- أزد عمان في القرنين الأول والثاني للهجرة، رسالة ماجستير، القاهرة ١٩٩٠م، إعداد سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني.

٩- أساس البلاغة للزمخشري، القاهرة ١٣٤١هـ، ١٩٢٢م.

١٠- الأساس في الأمم السامية ولغاتها، لعلي العناني وليون محرز ومحمد عطية الإبراشي، القاهرة ١٩٣٥م.

١١- أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٢- الأشباه والنظائر، للثعالبي، تحقيق محمد المصري، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٣- الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٤- اشتقاق أسماء الله، لأبي القسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق عبدالحسين المبارك، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥- اصطلاحات الصوفية، لعبدالرزاق الكاشاني، تحقيق عبدالخالق محمود عبدالخالق، القاهرة ١٩٨٠م.

١٦- إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٤٩م.

١٧- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للدامغاني، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل، بيروت ١٩٧٧م.

١٨- الأصمعيات، لابن قريب الأصمعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٦٣م.

١٩- أصول الفقه، محمد أبو زهرة، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٠- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة نايف خرما، الكويت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٢١- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، القاهرة ١٩٤١م.

٢٢- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، القاهرة، ١٤٠٥، ١٩٨٥م.

٢٣- الإفصاح في فقه اللغة، لعبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، القاهرة، ١٩٢٩م.

٢٤- الاقتباس من القرآن الكريم، للثعالبي، تحقيق ابتسام مرهون الصفار ومجاهد مصطفى بهجت، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٥- ألفاظ الأشباه والنظائر، لعبدالرحمن الهمداني، تحقيق الدكتور البدراوي زهران، القاهرة (د.ت).

٢٦- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، القاهرة ١٩٨٩م.

٢٧- أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٤م.

٢٨- البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٨٨م.

٢٩- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، القاهرة ١٩٨٣م.

٣٠- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، القاهرة ١٩٨٠م.
٣١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، بيروت (د.ت).
٣٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
٣٣- البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبدالحميد طه القاهرة ١٩٨٠م.
٣٤- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣م.
٣٥- تاج العروس، للزبيدي، القاهرة ١٣٠٦هـ.
٣٦- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار ورمضان عبدالتواب وآخرين، القاهرة ١٩٥٩م.
٣٧- تاريخ الحضارة الإسلامية، ف - بارتولد، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة (د.ت).
٣٨- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، القاهرة ١٦٢٩م.
٣٩- تاريخ مصر القديمة، (الموسوعة المصرية). القاهرة (د.ت).
٤٠- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق محمد البيجاوي - بيروت - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٤١- تحصيل نظائر القرآن، للحكيم الترمذي، تحقيق حسني نصر زيدان، القاهرة، ١٩٧٠م.
٤٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق سمير المجذوب، بيروت ١٩٨٣م.
٤٣- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبدالله الترجمان الميورقي، (القس الأندلسي أنسلم تورميدا)، دراسة وتحقيق عمر وفيق الداعوق، بيروت ١٩٨٨م.

٤٤- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي، تحقيق علي حسين البواب، الرياض ١٩٨٦م.

٤٥- الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، سلوى ناظم، القاهرة، (د.ت).

٤٦- التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه) ليحيى بن سلام، تحقيق وتقديم هند شلبي، تونس، ١٩٧٩م.

٤٧- التصور اللغوي عند الأصوليين، السيد أحمد عبدالغفار، الرياض ١٩٨٥م.

٤٨- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٩- التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، تعليق رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٥٠- التعريفات، لأبي الحسن الحسيني الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عمر، بيروت ١٩٨٧م.

٥١- تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بيروت ١٩٨٦م.

٥٢- تفسير ابن عربي (تفسير القرآن الكريم) لمحيي الدين ابن عربي، تحقيق وتقديم ، مصطفى غالب، بيروت ١٩٧٨م.

٥٣- تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، القاهرة، (د.ت).

٥٤- تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط. عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٥٥- تفسير التستري، (تفسير القرآن العظيم)، لأبي محمد سهل التستري، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ١٩٠٨م.

٥٦- تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين المحلى، وجلال الدين السيوطي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٥٧- تفسير سفيان بن عيينة، جمع وتحقيق ودراسة أحمد صالح محايري، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.

٥٨- تفسير الطبري، (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (من أول القرآن إلى سورة إبراهيم) تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٤م.

٥٩- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر الطبري (من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن الكريم)، القاهرة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م نسخة غير محققة.

٦٠- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٦١- تفسير غريب القرآن، لزيد بن علي، دراسة وتحقيق د. حسن محمد تقي الحكيم، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦٢- تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٦٣- تفسير مجاهد بن جبير، تحقيق محمد عبدالسلام أبو النيل، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٦٤- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخ أحمد الكومي، القاهرة (د.ت).

٦٥- تقرير أوجيست فيشر عن عمل المعجم اللغوي التاريخي، مصور بمكتبة الدكتور رمضان عبدالتواب.

٦٦- التكملة والذيل والصلة، للحسن بن محمد بن الحسن العناني (الجزء الثاني)، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، دار الكتب المصرية، ١٩٧١م.

٦٧- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضى، تحقيق الدكتور علي محمود مقلد، بيروت، ١٩٨٦م.

٦٨- التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل، إعداد محمد قاسم محمد، القاهرة ١٩٩٢م.

٦٩- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، لابن طاهر الفيروزآبادي، القاهرة، ١٩٥١م.

٧٠- تهذيب إصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (د.ت).

٧١- تهذيب السجستاني في غريب القرآن، صنعة محمد موسى، القاهرة، بدون تاريخ.
٧٢- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مراجعة، محمد علي النجار، القاهرة، (د.ت).
٧٣- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.
٧٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير جلال الدين السيوطي، دار القلم، القاهرة، (د.ت).
٧٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) للقرطبي، تصحيح أحمد عبدالعليم البردوني، القاهرة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
٧٦- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م.
٧٧- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق الدكتور رمزي البعلبكي بيروت، ١٩٨٧م.
٧٨- جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٧٩- الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٨٠- حصاد ندوة الدراسات العمانية، مجموعة بحوث صادرة عن وزارة الثقافة العمانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٨١- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
٨٢- الخراج، لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا، القاهرة، ١٩٧٨م.
٨٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٨٤- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، (د.ت).

٨٥- دائرة المعارف للأعلمي (مقتبس الأثر ومجدد ما دثر)، لمحمد حسين الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٨٦- دراسات في الحضارات السامية القديمة، محمد خليفة، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٧- دراسات في حضارة الإسلام، لهاملتون جب، ترجمة إحسان عباس وآخرين، بيروت ١٩٦٤م.

٨٨- دراسات في الشعر الجاهلي، للدكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨١م.

٨٩- دراسات في القرآن الكريم، للدكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٩٠- دراسات في اللغتين (السريانية والعربية) للدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٥م.

٩١- دراسات في اللغة العربية وتاريخها للأستاذ محمد الخضر حسن، القاهرة، (د.ت).

٩٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، طهران، ١٣٧٧هـ.

٩٣- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتقديم وتحقيق محمد السيد الجليند، دمشق، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٩٤- دلالة الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٥- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، القاهرة، ١٩٨٧م.

٩٦- ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق الفارابي، تحقيق أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٩٧- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، اعتمادا على نشره «دولف جاير»، الإسكندرية، ١٩٥٠م.

٩٨- ديوان ابن الفارض، تحقيق عبدالخالق محمود، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٩- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٠٠-ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبدالرسول، القاهرة، (د.ت).

١٠١-ديوان طرفة بن العبد، بيروت، (د.ت).

١٠٢-ديوان عمرو بن معد يكرب، صنعه هاشم الطعان، بغداد، ١٩٧٠م.

١٠٣-ديوان النابغة الذبياني، بيروت، (د.ت).

١٠٤-الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٠٥-رسالتان في اللغة (الفرق والشاء للأصمعي)، تحقيق وتعليق صبحي التميمي، القاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٠٦-رسالة الصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعري، تحقيق عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) الرباط، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٠٧-رسالة في بيان اصطلاحات رئيس الصوفية الواردة في الفتوحات المكية، نشرة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٢١هـ.

١٠٨-زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٠٩-الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١١٠-الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم بن حمدان الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة، ١٩٥٧م.

١١١-سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، نشرة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١١٢-سمط اللالي، لأبي عبيدالبكري الأُوْنَبِيّ، تحقيق عبدالعزيز الميمني، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ١٩٣٥م.

١١٣-سميائية النص الأدبي، لأنور المرتجى، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.

١١٤-السيرة النبوية، لابن هشام، راجع أصولها وعلق على حواشيها نخبة من العلماء، القاهرة، (د.ت).

١١٥-سيكلولوجية اللغة والمرض العقلي، جمعه سيد يوسف، الكويت، ١٩٩٠م.

١١٦-شرح الخطيب التبريزي، لأبي زكريا على ديوان أشعار الحماسة، لأبي تمام، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، بولاق، ١٢٩٦هـ.

١١٧-شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبدالمنعم عبدالرءوف شلبي، القاهرة، (د.ت).

١١٨-شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وتقديم إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.

١١٩-شرح مسند الإمام أبي حنيفة، لأبي حنيفة النعمان، ضبط وتقديم الشيخ خليل محيي الدين الميسي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٠-شعراء النصرانية، لويس شيخو اليسوعي، بيروت، ١٩٦٧م.

١٢١-الشعر = شرح الأبيات المشكلة الإعراب، لأبي علي الفارسي، تحقيق محمد محمود الطناحي، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢٢-الشعر الجاهلي، تطوره وخصائصه الفنية)، للدكتور محيي الدين زيان، القاهرة، (د.ت).

١٢٣-الشعر الجاهلي (مراحله واتجاهاته الفنية - دراسة نصية)، للدكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٢٤-شعر طفيل بن عوف الغنوي، رواية السجستاني عن الأصمعي، نشر في كرنكو، لندن، ١٩٢٧م.

١٢٥-شعر عمرو بن أحمد الباهلي، جمعه وحققه حسين عطوان، دمشق، (د.ت).

١٢٦-شعر النمر بن تولب، صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

١٢٧-الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى الباسي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٢٨-صبح الأعشى، للقلقشندي، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين وآخرين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٢٩-الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

١٣٠-الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، لأبي محمد إبراهيم أبو عروة، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٣١-صِفةُ جزيرة العرب، لسان اليمن الحسن بن حمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض، ١٩٧٤م.
١٣٢-الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق علي محمد البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت).
١٣٣-طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
١٣٤-ظاهرة الإبدال في المشترك السامي، للدكتور حازم علي كمال الدين، القاهرة ١٩٩٢م.
١٣٥-ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام، عبدالعال سالم مكرم، بيروت،١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٦-العادات المصرية بين الأمس واليوم، وليم نظير، القاهرة، ١٩١٧م.
١٣٧-عالمية الدعوة الإسلامية، علي عبدالحليم محمود، الرياض، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
١٣٨-العربية ليوهان فك، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
١٣٩-العصر الجاهلي، شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٤٠-العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي، شرح وضبط أحمد أمين، أحمد الرين، إبراهيم الإبياري، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٤١-علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة، القاهرة ١٩٨٨م.
١٤٢-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٨٨م.
١٤٣-علم الدلالة إطار جديد، صبري إبراهيم السيد، الدوحة، قطر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
١٤٤-علم اللغة بين القديم والحديث، عاطف مدكور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤٥-علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٤٦-العمدة في غريب القرآن، المنسوب لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، حققه وعلق عليه يوسف عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٤٧-العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، الكويت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٤٨-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م.

١٤٩-غرائب اللغة العربية، روفائيل نخلة اليسوعي، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥٠-غريب الحديث، لابن قتيبة، تحقيق عبدالله الجبوري، بغداد، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١٥١-غريب الحديث لأبي إسحاق بن إسحاق الحربي، تحقيق ودراسة سليمان بن إبراهيم العابد، جدة، ١٩٨٠م.

١٥٢-غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي القيسي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، تحقيق عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٥٣-غريب الحديث، لأبي عبدالقاسم بن سلام الهروي، تحت مراقبة ، محمد عبدالمعين خان، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٥٤-غريب القرآن = للسجستاني (نزهة القلوب) للإمام أبي بكر السجستاني، تصحيح لجنة من العلماء، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م.

١٥٥-غريب القرآن من شعر العرب (سؤالات نافع بن الأرزق) عبدالله بن عباس، تحقيق محمد عبدالرحيم وأحمد نصر الله، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٥٦-غريب القرآن وتفسير لأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك اليزيدي، حققه وعلق عليه محمد سليم الحاج، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٥٧-غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك اليزيدي، تحقيق عبدالرازق حسين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥٨-الفاخر، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٥٩-فتح الباري، بشرح صحيح البخاري لابن حجر، القاهرة، الريان، (د.ت).

١٦٠-الفتوحات المكية لابن عربي، بيروت، (د.ت).
١٦١-الفرق لأبي حاتم السجستاني والفرق لثابت بن أبي ثابت، نُشرا تحت عنوان (كتابان في الفرق) تحقيق حاتم صالح الضامي، بيروت، ١٠٤٧هـ، ١٩٨٧م.
١٦٢-فصول في فقه العربية، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
١٦٣-فقه السنة، السيد سابق، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٢م.
١٦٤-فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبدالتواب، الرياض، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
١٦٥-فقه اللغة، للدكتور علي عبدالواحد وافي، القاهرة، (د.ت).
١٦٦-فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق سليمان البواب، دمشق، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٢م.
١٦٧-في التطور اللغوي، عبدالصبور شاهين، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٦٨-في ظلال القرآن (تفسير سيد قطب) لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٦٩-في قواعد الساميات، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٧٠-في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٧١-القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبدالصبور شاهين، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٧٢-القاموس المحيط (للفيرزوآبادي)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
١٧٣-قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، لأبي الضياء عبدالرحمن بن الديبع الشيباني الزبيدي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
١٧٤-الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د.ت).
١٧٥-الكتاب المقدس، الترجمة العربية المتداولة، مصر، ١٩٧٣م.

١٧٦-الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي، سيد فرج راشد الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٧٧-كشاف اصطلاحات الفنون، للشيخ محمد علي بن علي التهانوي، دار الخلافة مطبعة إقدام (١٣١٧هـ).
١٧٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، بيروت، (د.ت).
١٧٩-كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
١٨٠-كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، للإمام ملا كاتب جلبي، دار سعادات، استنابول، ١٣١٠هـ.
١٨١-كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
١٨٢-الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوري، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.
١٨٣-كنوز الحقائق للمناوي، القاهرة، (د.ت).
١٨٤-لسان العرب لابن منظور، القاهرة، طبعة دار المعارف، (د.ت).
١٨٥-لطائف الاشارات، للإمام القشيري، قدم له وحققه وعلق عليه إبراهيم بسيوني، القاهرة، (د.ت).
١٨٦-لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، لأبي عبدالقسم بن سلام، شرح وتعليق وتحقيق الدكتور عبدالحميد السيد طلب، الكويت، ١٩٨٤م.
١٨٧-اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٨٨-اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، لأحمد حسين شرف الدين، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٨٩-لماذا تأخر المسلمون؟ للأمير شكيب أرسلان، بيروت، ١٩٦٩م.

١٩٠-ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد، باعتناء الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

١٩١-ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، للأصمعي، تحقيق ماجد حسني الذهبي، دمشق، ١٩٨٧م.

١٩٢-المؤتلف والمختلف، للآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

١٩٣-مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٩٤-المحتسب في تبيين وجوه وشواذ القراءات، لابن جني، تحقيق علي النجدي، وعبدالحليم النجار. وعبدالفتاح شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٩٥-مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، القاهرة، (د.ت).

١٩٦-مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ط١، ١٩٤٨م، ط٢، ١٩٨٠م.

١٩٧-مجمل اللغة، لأحمد بن فارس اللغوي، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، بغداد، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٩٨-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي، بفاس، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٩٩-المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيدة، تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

٢٠٠-المخصص، لابن سيدة، القاهرة، (د.ت).

٢٠١-مختصر في شواذ القراءات، لابن خالوية، نشرة برجشتراسر، القاهرة، ١٩٣٤م.

٢٠٢-مدخل إلى الألسنية، الدكتور يوسف غازي، دمشق، ١٩٨٥م.

٢٠٣-المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبدالستار فتح الله سعيد القاهرة ١٤١١هـ.

٢٠٤-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٠٥-مدخل إلى علم النفس، محمد فرغلي فراج، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٢٠٦-المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لعبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، حققه طيار آلتي قولاج، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٢٠٧-المزهر في علوم اللغة للسيوطي، تصحيح محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي وآخرين، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٠٨-مسائل الرازي في غرائب أي التنزيل، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
٢٠٩-المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢١٠-المسلسل في غريب لغة العرب، لأبي الطاهر محمد بن عبدالله التميمي، تحقيق محمد عبدالجواد، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
٢١١-المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبدالعزيز، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢١٢-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي، القاهرة، ١٩١٢م.
٢١٣-معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، سيد توفيق، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢١٤-معاني القرآن، للأخفش الأوسط، تحقيق، فائز فارس، الكويت، ١٩٧٩م.
٢١٥-معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢١٦-معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢١٧-معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تحقيق علي محمد البيجاوي، القاهرة، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٣م.
٢١٨-معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولَّد، لأحمد أبي سعيد، بيروت، ١٩٨٧م.

٢١٩-المعجم الذهبي (فارسي عربي)، محمد التونجي، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٢٠-المعجم الصوفي، سعاد الحكم، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٢٢١-معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٦م.
٢٢٢-المعجم الكامل في لهجات الفصحى، جمع وترتيب الدكتور، داود سلوم، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٢٣-المعجم اللغوي التاريخي، للأستاذ فيشير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٢٤-معجم لغات القبائل والأمصار، جميل سعيد وداود سلوم، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م.
٢٢٥-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة.
٢٢٦-معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبدالستار فتح الله سعيد، القاهرة، ١٤٠٢هـ.
٢٢٧-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي)، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٢٢٨-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - القاهرة ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.
٢٢٩-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي - بغداد ١٩٧٦م.
٢٣٠-المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها، محمد عطية الإبراشي وعلي العناني وليون محرز - بولاق (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).
٢٣١-المفضليات، للمفضل الضبي - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، القاهرة، ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م.
٢٣٢-مفهوم لأمة في القرآن الكريم وتطوره حتى العصر الحديث - لمحمد عوده سلامة رسالة ماجستير القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٣٣-مقاييس اللغة لابن فارس - القاهرة ، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢٣٤-مقدمة في أصول التفسير، للإمام ابن تيمية تحقيق محمود محمد نصار، القاهرة، (د.ت).
٢٣٥-المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت - القاهرة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٢٣٦-ملحمة جلجاميش - حققها ونقلها إلى الانكليزية ن. ك. ساندرز - ترجمة محمد جميل نوفل وفاروق حافظ القاضي - دار المعارف - ١٩٧٠م.
٢٣٧-منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - لنشوان ابن سعيد الحميري، دمشق، ١٩٨١م.
٢٣٨-المنجد في اللغة لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي - المشهور بكراع - أحمد مختار عمر وضاحي عبدالباقي. القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.
٢٣٩-منهج أهل السنة في التفسير (دراسة موضوعية لجهود ابن القيم في التفسير)، صبري المتولي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٤٠-الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية - محمد بن عبدالجبار - بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
٢٤١-الموطأ للإمام مالك بن أنس. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي - القاهرة، (د.ت).
٢٤٢-المولد (دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام) - حلمي خليل الإسكندرية، ١٩٧٨م.
٢٤٣-نزهة الأعين والنواظر في علم الوجود والنظائر لابن الجوزي - دراسة وتحقيق محمد عبدالكريم كاظم، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٢٤٤-نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري - تحقيق عدنان مولود المغربي - دمشق، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٢٤٥-نظام الغريب في اللغة للربعي - تحقيق محمد بن علي الأكوع - بيروت، ١٩٨٠م.
٢٤٦-النقد العربي، عبدالحكيم راضي وعبد المنعم تليمة، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢٤٧-الوحشيات (الحماسة الصغرى لأبي تمام) لأبي العلاء المعري - تحقيق وتعليق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة، (وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر) دار المعارف،١٩٦٣م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1- A. Ermao & H. Groper, Worterbuch der Agyptischen Sprache, I, Berlin 1971.

2- Arthur Jeffery, Forign Vocabulary of The Qur,An, 1938 Baroda 1938.

3- John Lyons Semantics Cambuidge, London, 1976.

4- Leonard, Bloomfield, Language, London, 1976.

5- Wilhelm Von Hymboldt, on Language Translated By Peter Heath Cambridge University, Press, 1988.

6- Sabatino Moscati, A. Spitaler, Ullendorf and Von Soden, An lntroduction. Of The Comparative Grammer Of Sematic Languaes, Cambridg, 1890.

ثالثًا: المراجع العبرية:

1- Norman Henry Snaith

ספר תורה נביאים וכתובים

سفر التوراة ، الأنبياء والمكتوبات

London Hebrew Old Testament 1983.

2- I.Kojman = יקרגמן = ي قوجمان -

חלרן עבןי ערבי - قاموس عبري عربي

Cairo 1970 –

* * *

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

https://www.facebook.com/books4all.net